بعد الضيق يأتي الفرج

تأليف

خالد أبو صالح

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الدنيا محل اختبار وابتلاء، ودار امتحان واصطفاء، قال تعالى: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: 1-3].

فهذا يبتلى في دينه, وهذا يبتلى في أهله وأبنائه, وهذا يبتلى في جسده وصحته, وهذا يبتلى في ماله, وهذا يبتلى في وظيفته, وهذا يبتلى في جاهه وسلطانه, وهذا الابتلاء هو الذي يبين معادن الناس، فيثبت على الحق أهل الإيمان والتقوى، ويزل عن الطريق أهل العصيان والنفاق.

فالابتلاء إذًا سنة كونية لا يخلو منها بشر فضلاً عن أهل الإيمان وأولهم الرسل عليهم

الصـلاة والسـلام... فكم لاقـوا من شـدائد؟ وكم جـــابهوا من محن؟ وكم صــــبروا على البلاء؟ وكم ضاقت عليهم الدنيا بمــا رحبت، فما يئسوا ولا جزعوا ولا استكانوا لعــدوهم؛ بل جاهـدوا في اللـه حـق جهـاده، وصـدقوا في ميدان الصدق، وثبتوا في ميدان الثبات، حـتى جـاءهم نصـر اللـه، وأدركتهم رحمتـه، فقطع دابر الذين ظلمـوا، والحمـد للـه رب العالمين.

ابتلاء سيد الخلق:

وقـــد ابتلي رســـول اللـــه ﷺ أعظم ابتلاء، وأوذي أشد الأذى وهو راضٍ صابر محتسب، متوكل على ربه، راغب في مرضاته.

قــــال ابن الجـــوزي: «من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل في أفعالــه، وأن يدري من أين ينشأ الرضا؛ فليتفكر في أحوال رسول الله ﷺ.

فإنـــه لمـــا تكـــاملت معرفتـــه بالخـــالق سـبحانه، رأى أن الخـالق مالـك، وللمالـك التصرف في مملوكه. ورآه حكيمًـا لا يصـنع شـيئًا عبثًـا، فسـلّم تسـليم مملـوكٍ لحكيم،

فكانت العجائب تجري عليه، ولا يوجـد منـه تغير، ولا من الطبع تأفف، ولا يقول بلســان الحال: لو كان كذا! بـل يثبت للأقـدار ثبـوت الجبال لعواصف الرياح.

هــذا ســيد الرســل ﷺ، بعث إلى الخلــق وحده، والكفر قد ملأ الآفاق، فجعل يفر من مكـان إلى مكـان، واســتتر في دار الأرقم، وهم يضــربونه إذا خــرج، ويــدمون عقبــه، وأُلقي السَّــلاَ على ظهــره، وهــو ســاكت ساكن.

ويخــــرج كـــل موســــم فيقـــول: «**من يؤويني؟ من ينصـرني؟**». ثم خـرج من مكــة فلم يقــدر على العــود إلا في جــوار كافرٍ.

ولم يوجـــد من الطبـــع تـــأفف، ولا من الباطن اعتراض، إذ لو كان غـيره لقـال: يـا رب أُنت مالك الخلـق، وأقـدرُ على النصـر، فلم أُذلّ؟. كم قال عمر رضي الله عنه يوم صــلح الحديبيــة: ألســنا على الحــق؟ فلم نعطي الدنيةَ في ديننا؟ ولما قـال هـذا قـال لــه الرســول ﷺ: «**إني عبــد اللــه، ولن يضيعني**» [متفق عليه].

فجمعت الكلمتـــان الأصـــلين اللـــذين ذكرناهما: فقوله: «**إني عبـد الله**» إقـرار بالملك، وكأنه قال: أنا مملوك يفعـل بي مـا يشاء. وقوله: «**لن يضيعني**» بيان حكمته وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا.

ثم يُبتلى بــالجوع فيشــد الحجــر، وللــه خزائن السموات والأرض.

ويقتـل أصـحابه، ويشـج وجهـه، وتكسـر رباعيته، ويُمثّل بعمه، وهو ساكت.

ثم يـــرزق ابنًـــا ويســـلب منـــه، فيتعلـــل بالحسـن والحسـين، فيخـبر بمـا سـيجري عليهما.

ويسكن بـالطبع إلى عائشـة رضـي اللـه عنها، فينغص عيشه بقذفها.

ويبالغ في إظهار المعجـزات، فيقـام في وجهه مسيلمة والعنسي وابن صياد.

ويقيم نـاموس الأمانـة والصـدق فيقـال: كذاب ساحر.

ثم يعلقـه المـرض، فيوعـك كمـا يوعـك رجلان وهو ساكن ساكت.

ثم يشـدد عليـه المـوت، فيُسـلب روحـه الشـريفة، وهـو مضـطجعٌ في كسـاء ملبـد وإزار غليـظ، وليس عنـدهم زيت يوقـد بـه المصباح لَيْلَتَئِذٍ!

هذا شيء ما قدر على الصـبر عليـه كمـا ينبغي نبي قبله، ولو ابتليت بـه الملائكـة مـا صبرت[1]»!.

ولكن ماذا بعد هذا الضيق والشدائد؟

ماذا بعد هذه المحن والمصائب؟

ماذا بعد هذا الصبر والثبات العظيم؟

ماذا بعد هذا التوكل والرضا؟

جـاءه الفـرج من اللـه... جـاءه النصـر المـبين... جـاءه المـدد من السـماء... ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَيَـوْمَ يَقُـومُ الْأَشْـهَادُ**﴾ [غـافر: 51].

﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ [آل عمران: 123].

﴿**وَعَـــدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُــوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي**

[1] (?) صيد الخاطر ص(486-489).

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55]. وهكذا عاقبة الصبر والثبات والتوكل والرضا؛ ﴿**نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصف: 13].

وللفرج أسباب كثيرة منها:

1- ترك المعاصي:

فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة. قال تعالى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن: 16]. فمن أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال. قال أبو سليمان الداراني: من صفَّى صُفّي له، ومن كدر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كُفي في نهاره، ومن أحسن في نهاره كُفي في ليله.

وكان شيخ يدور في المجالس فيقول: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله عز وجل.

وكان الفضيل بن عياض يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي.

واعلم – وفقك الله – أنه لا يحس بضربة مبنج، وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه.

ومتى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت.

واحذر من نفار النعم ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عجل انقباضه.

وقد قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: 11][1].

التوكل على الله:

وهو من أعظم أسباب الفرج وذهاب الهموم والغموم قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: 3].

أي كافيه من كل مكروه، ومن كان الله حسبه فقد أدرك الأمن التام والنجاة

[1] (?) صيد الخاطر ص(47-49).

الكاملة.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَـالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُـوا لَكُمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَـزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيـلُ * فَـانْقَلَبُوا بِنِعْمَـةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْـلٍ لَمْ يَمْسَسْـهُمْ سُـوءٌ وَاتَّبَعُـوا رِضْـوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْـلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: 173، 174].

3- الصبر والتفكر:

فبالصـبر يتحمـل الإنسـان مـرارة الألم، وبالتفكر يدرك سرعة انقضاء الآلام، ويدرك كذلك ما وراءها من الأجر.

قال ابن الجـوزي: «لا ينبغي للمـؤمن أن ينزعج من مرض أو نـزول مـوتٍ، وإن كـان الطبع لا يُملك، إلا أنه ينبغي له التصبر مهما أمكن؛ إما لطلب الأجر بما يعـاني، أو لبيـان أثر الرضا بالقضاء، ومـا هي إلا لحظـات ثم تنقضي.

وليتفكـر المعـافى من المـرض في الساعات التي كان يقلق فيهـا، أين هي في زمان العافية؟

ذهب البلاء وحصـل الثـواب، كمـا تـذهب

حلاوة اللــــذات المحرمــــة ويبقى الــــوزر، ويمضــي زمــان التســخط بالأقــدار ويبقى العتاب.

وهل الموت إلا آلامٌ تزيد، فتعجــز النفس عن حملها فتذهب؟!

فليتصــور المــريض وجــود الراحــة بعــد رحيــل النفس، وقــد هــان من يُلقى، كمــا يتصور العافية بعد شرب الشربة المرّة[1].

4- إقامة الصلاة:

فللصــلاة تــأثير عجيب في علاج الهمــوم والغموم وتفـريج الكـرب، ولـذلك فقـد أمـر اللــه تعــالى بالاسـتعانة بهــا في كـل الأمـور فقال تعالى: **اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** [البقرة: 153].

وقال تعالى: **وَلَقَـدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِـيقُ صَـدْرُكَ بِمَا يَقُولُـونَ * فَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** [الحجر: 97-99].

وقد كان النبي إذا حزبه أمــرٌ فــزع إلى الصلاة.

---

[1] (?) صيد الخاطر ص(457).

وقال عليـه الصـلاة والسـلام: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**».

5- ذكر الله تعالى:

وذكر الله تعالى من أسباب التغلب على الشدائد والكربات والهمـوم والغمـوم. قـال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُـوبُهُمْ بِـــذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِـــذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: 28].

وقـال تعـالى: ﴿**فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ**﴾ [البقرة: 152].

فإذا ذكر المريض ربه ذكره الله بالصـحة والعافية وإذا ذكر المهموم ربـه، ذكـره اللـه بشرح الصدر وتفريج الهموم.

وإذا ذكر الخائف ربه، ذكـره اللـه بـالأمن والسكينة والطمأنينة.

ومن أنواع الذكر:

الدعاء:

قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ**﴾ [النمل: 62].

ومن الذكر تلاوة القرآن:

قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: 82].

ومن الذكر: الصلاة على النبي ﷺ:

فقد قال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: «**إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك**» [رواه أحمد].

ومن الذكر: ما يُقال عند الكرب:

ومن ذلك قوله ﷺ: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله إلا إله إلا أنت**» [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

وفي الصـحيحين عن ابن عبـاس -رضـي الله عنه- أن رسول اللـه كـان يقـول عنـد الكـــرب: «**لا إلــــه إلا اللـــــه العظيم الحليم، لا إلــه إلا اللــه رب العــرش العظيم، لا إله إلا الله رب الســموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

أخي الكريم...

هذه المقدمة جعلناها بين يدي مجموعــة من القصص والأخبار التي فيهـا الفــرج بعـد الشــدة، والأمن بعـد الخـوف، واليســر بعـد العسر، حتى لا ييأس من رحمة الله يــائس، ولا يزهـــد في فـــرج اللـــه وأســـباب نجاتـــه زاهد...

وقد جــاء في بعض الآثــار عن الله عز وجل:

أيؤمّل غيري للشــدائد، والشــدائد بيــدي، وأنا الحي القيوم؟!

أيــرجى غــيري، ويطــرق بابــه بالبركـات، وبيدي مفاتيح الخــزائن، وبــابي مفتــوح لمن دعاني؟!

من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به؟

أو من ذا الـــذي رجـــاني لعظيم فخيبت رجاءه؟

أو من ذا الـذي طـرق بـابي، فلم أفتحـه له؟

أنـا غايـة الآمـال، فكيـف تنقطـع الآمـال دوني؟

أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي؟

أليست الدنيا والآخـرة والكـرم والفضـل كله لي؟

فما يمنع المؤملين أن يؤملوني؟

لــو جمعت أهــل الســموات والأرض، ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميــع، وبلغت كل واحد منهم أمله، لم ينقص ذلــك من ملكي عضو ذرة.

كيف ينقص ملك أنا قَيِّمه؟!

فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي!

ويــا بؤسًــا لمن عصــاني وتــوثب على محارمي.

فأين عني تهرب الخلائق؟

وأين عن بابي يتنحى العاصون؟

خالد مصطفى سالم
أبو صالح
الرياض غرة ربيع الأول – 1425هـ

وجاء الفرج من الله

حادثة الإفك

روى البخـاري من حـديث أم المؤمـنين عائشـة رضـي اللـه عنهـا زوج النـبي ﷺ حين قال لها أهل الإفـك مـا قـالوا: كـان رسـول اللــه ﷺ إذا أراد سـفرًا أقــرع بين أزواجــه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسـول اللـه ﷺ معه. قالت عائشـة: فـأقرع بيننـا في غـزوة غزاهـا فخـرج فيهـا سـهمي، فخـرجت مـع رسول اللـه ﷺ بعـدما أنـزل الحجـاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا، حـتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفـل ودنونــا من المدينــة قــافلين آذن ليلــة بالرحيــل، فقمت حين آذنــوا بالرحيــل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضـيت شـأني أقبلت إلى رحلي فلمسـت صـدري فـإذا عقـدٌ لي من جـزع ظفـار قـد انقطـع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

قــالت: وأقبــل الرهــط الــذين كــانوا يرحلـوني فـاحتملوا هـودجي فرحلـوه على بعــيري الــذي كنت أركب عليــه – وهم

يحســبون أني فيــه، وكــان النســاء إذ ذاك خفافًــا لم يَهْبُلْنَ ولم يغشــهن اللحم، إنمــا يـأكلن العُلقة[1] من الطعـام – فلم يسـتنكر القـوم خفـة الهـودج حين رفعـوه وحملـوه، وكنت جاريـة حديثـة السـن، فبعثـوا الجمـل فســاروا، ووجــدت عقــدي بعــدما اســتمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب. فتيممت مـنزلي الـذي كنت بـه، وظننت أنهم ســيفقدوني فـــيرجعون إليَّ. فبينـا أنـا جالسـة في مـنزلي غلبتـني عيـني فنمت، وكان صفوان بن المعطـل السـلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصــبح عنــد منزلي، فرأى سـواد إنسـان نـائم، فعرفـني حين رآني، وكـــان رآني قبـــل الحجـــاب، فاســـتيقظت باســـترجاعه حين عرفـــني، فخمرت وجهي بجلبـابي، ووالله مـا تكلمنـا بكلمـــة، ولا ســـمعت منـــه كلمـــة غـــير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلتـه فـوطئ على يـدها، فقمت إليهـا فركبتهـا، فـانطلق يقـــود بي الراحلـــة حـــتى أتينـــا الجيش

---

[1](?) العقلة: الشيء اليسير.

مـوغرين[2] في نحــر الظهـيرة وهم نــزول. قالت: فهلك من هلك.

وكان الذي تولى كبر الإفك عبـد اللـه بن أبي بن سلول.

قــال عــروة: أخــبرت أنــه كــان يشــاع ويتحـــدث بـــه عنـــده فيقـــره ويســـتمعه ويستوشيه.

وقــال عــروة أيضًــا: لم يســم من أهــل الإفك أيضًا إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش في ناس آخـرين لا علم لي بهم، غـير أنهم عصـبةٌ - كمـا قـال الله تعالى - وإن كَبِرَ ذلك يقال عبد الله بن أبي بن سلول.

قال عـروة: كـانت عائشـة تكـره أن يسب عنـدها حسـان وتقـول إنـه الـذي قال:

فإن أبى ووالده

لعرض محمد منكم

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشـتكيت حين قـدمت شـهرًا، والنـاس يفيضـون في

---

[2](?) موغرين: نازلين.

قـول أصـحاب الإفـك، لا أشـعر بشـيء من ذلك، وهـو يريبـني في وجعي أني لا أعـرف من رسـول اللـه اللطـف الـذي كنت أرى منه حين أشـتكي، إنمـا يـدخل عليَّ رسـول اللــه فيســلم ثم يقــول: كيــف تيكم؟ ثم ينصـرف، فـذلك يريبـني ولا أشـعر بالشـر، حتى خرجت نقهت، فخرجت مع أم مسطح – قبـل المناصع[1] – وكـان متبرزنـا، وكنـا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل – وذلك قبـل أن نتخـذ الكنف قريبًا من بيوتنـا، قـالت: وأمرنـا أمـر العرب الأول في البريـة قبـل الغائـط، وكنـا نتأذى بالكنيف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت: فانطلقت أنا وأم مسـطح – وهي: ابنــة أبي رهم بن المطلب بن عبــد منــاف، أمهـا: بنت صـخر بن عـامر خالـة أبي بكـر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب – فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنـا من شـأننا، فعـثرت أم مسـطح في مرطهـا فقـالت: تعس مسـطح، فقلت لها: بئس ما قلت؛ أتسبين رجلاً شهد بــدرًا؟ فقــالت: أي هنتــا، ولم تســمعي مــا قــال؟

---

[1](?)المناصع: مكان سهل

قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك.

قالت: فازددت مرضًا على مرضي. فلما رجعت إلى بيتي دخـل علي رسـول اللـه ، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتذان لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريـد أن أسـتيقن الخبر من قبلهمـا. قـالت: فـأذن لي رسـول اللـه فقلت لأمي: يـا أمتـاه، مـاذا يتحـدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليـك. فواللـه لقلما كـانت امـرأة قـط وضـيئة عنـد رجـل يحبهـا لهـا ضـرائر إلا أكـثرن عليهـا. قـالت فقلت: سبحان اللـه، أو لقـد تحـدث النـاس بهــذا؟ قــالت: فبكيت تلــك الليلــة حــتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنـوم، ثم أصبحت أبكي.

قالت: ودعـا رسـول اللـه علي بن أبي طــالب وأســامة بن زيــد حين اســتلْبثَ[1] الــوحي يسـألهما ويستشـيرهما في فـراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفســه، فقــال أســامة: أهلــك، ولا

[1](?)استلبث: تأخر

نعلم إلا خـيرًا. وأمـا علي فقـال: يـا رسـول الله، لم يضيق الله عليـك، والنسـاء سـواها كثير، وسل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول اللـه ﷺ بريـرة فقـال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قـال لـه بريـرة: والـذي بعثـك بـالحق، مـا رأيت عليهـا أمـرًا قـط أغمصـه، غـير أنهـا جاريـة حديثة السـن تنـام عن عجين أهليهـا فتـأتي الداجن فتأكله.

قـالت: فقـام رسـول اللـه ﷺ من يومـه فاستعذر من عبـد اللـه بن أُبي – وهـو على المنـبر – فقـال: يـا معشـر المسـلمين من يعـذرني من رجـل قـد بلغـني عنـه أذاه في أهلي، واللـه مـا علمت على أهلي إلا خـيرًا. ولقد ذكـروا رجلاً مـا علمت عليـه إلا خـيرًا، وما يدخل على أهلي إلا معي.

قالت: فقـام سـعد بن معـاذ – أخـو بـني عبـد الأشـهل – فقـال: أنـا يـا رسـول اللـه أعذرك، فإن كان من الأوس ضـربت عنقـه، وإن كـان من إخواننـا من الخـزرج أمرتنـا ففعلنا أمرك. قالت: قام رجـل من الخـزرج

– وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج.

قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحمية – فقال لسعد: كـذبت لعمـر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتلـه، ولـو كـان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقـام أسـيد بن حضـير – وهـو ابن عم سـعد – فقـال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر اللـه، لنقتلنـه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قـالت: فثـار الحيـان الأوس والخـزرج – حتى هموا أن يقتتلـوا ورسـول اللـه ﷺ قـائم على المنبر. قالت: فلم يـزل رسـول اللـه ﷺ يخفضـهم حـتى سـكتوا وسـكت. قـالت: فبكيت يومي ذلـك كلـه لا يرقـأ لي دمـع ولا أكتحل بنوم.

قـالت: وأصـبح أبـواي عنـدي وقـد بكيت ليلـتين ويومًـا لا يرقـأ لي دمـع ولا أكتحـل بنوم، حتى أني لأظن أن البكاء فالق كبدي. فبينـا أبـواي جالسـان عنـدي وأنـا أبكي فاستأذنت عليَّ امـرأة من الأنصـار، فـأذنت لها، فجلست تبكي معي.

قالت: فبينا نحن على ذلك دخـل رسـول اللــه علينــا فســلم ثم جلس. قـالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيـل قبلهـا، ولقـد لبث شهرًا لا يُوحى إليه في شـأني بشـيء. قالت: فتشهد رسـول اللــه حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغـني عنـك كـذا وكذا، فإن كنت بريئـة فسـيبرؤك اللــه، وإن كنت ألممت بذنب فاسـتغفري اللــه وتــوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب؛ تاب اللــه عليه.

قالت: فلما قضى رسـول اللــه مقالتـه قَلَصَ دمعي حــتى مــا أحس منــه قطــرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله عني في مـا قـال، فقـال أبي: واللــه مـا أدري مـا أقـول لرسول اللــه . فقلت لأمي: أجيـبي رسـول الله في ما قال: قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله .

فقلت – وأنا جارية حديثـة السـن لا أقـرأ من القرآن كثيرًا: إني والله لقد علمت لقــد ســمعتم هــذا الحــديث حــتى اســتقر في أنفســكم وصــدقتم بــه، فلئن قلت لكم إني بريئــة – لا تصــدقونني، ولئن اعــترفت لكم

بــأمر – واللـــه يعمـــل أني منـــه بريئـــة – لتصدِّقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسـف حين قـال: **فَصَـبْرٌ جَمِيـلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِـفُونَ** [يوسـف: 18]. ثم تحولت فاضطجعت على فراشــي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي. ولكن والله مـا كنت أظن أن اللــه تعالى منزل في شـأني وحيًـا يتلى، لشـأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم اللـه فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرئـني اللـه بهـا، فواللـه مـا رام رسول الله مجلسه ولا خرج أحــدٌ من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخـذه مـا كـان يأخـذه من البُرَحَـاء، حـتى أنـه ليتحـدر منـه العرق مثل الجمعان – وهو في يوم شات – من ثقل القول الذي أنزل عليه.

قـالت: فسـري عن رسـول اللـه وهـو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قـال: يا عائشة، أما الله فقد برأك. قـالت: فقـال لي أمي: قـــومي إليـــه، فقلت: لا واللـــه لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل.

قـالت: وأنــزل اللـه تعـالى: **إِنَّ الَّذِينَ**

جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَـبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُـلِّ امْـرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَـــــبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَـوَلَّى كِبْـرَهُ مِنْهُمْ لَـهُ عَـذَابٌ عَظِيمٌ [النور: 11]. العشـر الآيـات. ثم أنـزل اللـه تعالى هذا في براءتي.

قال أبو بكر الصـديق- وكـان ينفـق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: واللـه لا أنفق على مسـطح شـيئًا أبـدًا بعـد الـذي قال لعائشة ما قال؛ فأنزل الله تعالى: **وَلَا يَأْتَـلِ أُولُو الْفَضْـلِ مِنْكُمْ وَالسَّـعَةِ أَنْ يُؤْتُـــوا أُولِي الْقُـــرْبَى وَالْمَسَـــاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُـوا وَلْيَصْـــفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِــرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [النور: 22].

قال أبـو بكـر الصـديق: بلى. واللـه، إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجـع إلى مسـطح النفقة التي كان ينفق عليـه وقـال: واللـه لا أنزعها منه أبدًا.

قالت عائشة: وكان رسـول اللـه ﷺ سـأل زينب بنت جحش عن أمري، فقـال لـزينب:

مــاذا علمت أو رأيت؟ فقــالت: يــا رســول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا.

قالت عائشة: وهي التي كانت تُســاميني من أزواج النــبي ﷺ، فعصــمها اللــه بــالورع. قــالت: وطفقت أختهــا حمنــة تحــارب لهــا، فهلكت فيمن هلك، قــال ابن شــهاب: فهــذا الــذي بلغــني من حــديث هــؤلاء الرهــط. ثم قال عروة: «قالت عائشة: والله إن الرجــل الذي قيل له مــا قيــل ليقــول: ســبحان اللــه فوالذي نفســي بيــده مــا كشــفت من كنــف أثنى قط. قالت: ثم قُتل بعد ذلك في سبيل الله».

أمن يجيب المضطر إذا دعاه

يغتر بعض الناس بالمظـاهر الـتي يتلبس بهـا من لا خلاق لـه، ونحن لا نعلم ببــواطن الشر، ولكن الله تعالى يظهر تلك البــواطن على فلتــات اللســان، وقســمات الوجــه، ويخرج ما يكتمون، وقد روي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أنه قال: من أسـرَّ سـريرة كسـاه اللـه جلبابهـا، وقـد ذكـر ابن كثـير في تفسـيره عنـد قـول اللـه تعـالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْــــطَرَّ إِذَا دَعَـــــاهُ وَيَكْشِـــفُ السُّـــوءَ**﴾ [النمـــل: 62]. أن الحافـظ ابن عسـاكر ذكـر في ترجمـة أبي بكر محمد بن داود الدينوري أنه قــال: كنت أكـاري على بغـل لي من دمشــق إلى بلــد الزيــداني، فــركب معي ذات مــرة رجــل فمررنا في بعض الطريق على طريــق غـير مسلوكة، فقـال لي: خـذ مـع هـذه الطريـق فإنها أقرب، فقلت: لا خيرة لي فيها، فقال: بـل هي أقـرب فسـلكناها حـتى انتهينـا إلى مكـان وعـر، وواد عميـق وفيـه قتلى كثـير، فقـال لي: أمسـك رأس البغـل حـتى أنـزل

فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل ســكينًا معه وقصدني ففرت منـه فتبعـني فناشـدته الله تعالى وقلت لـه: خـذ البغـل ومـا عليـه فقال: هو لي وفي يدي ولا أشاورك فيه.

فقلت له: فماذا تريد؟ قال: أريـد قتلـك، فخوفته الله وذكرته العقوبة فلم يقبل مـني فاستسـلمت بين يديـه وقلت لـه: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعـتين؟ قـال: نعم، جــل فيهمــا... وهكــذا يعــرف الصــالحون يتعاملون مع الـرب ويحسـنون الاتصـال بـه ويقــدمون العمــل الصــالح ويلجــؤون إليــه ويوقنون أن الاتصال البشري لا يجــدي فهم في مناجاة مع الرب، وصاحب هذا العمل لا يخسر؛ بـل إن قتـل فيكـون قـد ودع الـدنيا بأفضل الأعمال، وإن بقي فيكون قد تســلح بسلاح قوي وزادت علاقته وصلته بربـه ولـو عرف الناس هذا الخير ما تركوه، ولقضـيت حاجــاتهم في كــل وقت، وفي كــل حين، ونسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينـا شـر أنفسنا.

قـال اللص للـدينوري عجّـل عليَّ فقـام المركوب يصلي فأرتج عليه القـرآن ونسـيه

كلـه من هـول الموقـف، إذ السـيف على رأسه واللص يقول عجل قبل أن يكبر وعند التكبير وبعـد التكبـير وفي كـل لحظـة فمـا تذكر من القرآن شيئًا حـتى الفاتحـة يقـول: فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول: هيـه أفـرغ، فبينمـا أنـا فيـه همّ وضـيق ألقى اللـه على لساني: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾. فقرأتها فإذا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فـرمى بهـا الرجـل، فمـا أخطـأت فـؤاده فخـر صـريعًا فتعلقت بالفـارس وقلت: باللـه من أنت؟ قـال: أنـا رسـول الـذي يجيب المضـطر إذا دعاه ويكشف السوء. قـال: فأخـذت البغـل والحمار ورجعت سالمًا[1].

وما أشبه هذه القصـة بقصـة أبي معلـق الصحابي الجليل الذي كان يتجر بماله وكان ناسكًا ورعًا فخرج مرة بتجارتـه فلقيـه لص مقنع في السلاح فقال: ضع ما معـك فـإني قاتلك، قال: خذ المال، قال: سآخذه ولكني أريد روحك، قـال: إذن اتركـني أصـلي أربـع ركعات، قال: صل مـا بـدا لـك، فتوضـأ أبـو

---

[1] (?) تفسير ابن كثير جزء 3.

معلـق وأحسـن وضـوءه ثم اسـتقبل القبلـة وصـلى أربـع ركعـات من أحسـن مـا صـلى خشــوعًا وخضــوعًا فلمــا ســجد الســجدة الأخيرة من الركعـة الرابعـة دعـا وقـال: يـا ودود يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الـذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركـان عرشـك، أن تكفيني شر هذا اللص، يـا مغيث أغثـني، يـا مغيث أغثـني، يـا مغيث أغثـني، فـإذا بـذاك الفارس قد أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبـل نحـوه فطعنه الفارس فقتله, ثم أقبل إليـه فقـال: قم فقـام وأتم صـلاته ثم سـلم وقـال: من أنت فقد أغاثني اللـه بـك اليـوم؟ قـال: أنـا ملــك من أهــل الســماء الرابعــة، دعــوت بــدعائك الأول فســمعت لأبــواب الســماء قعقعة، ثم دعوت بـدعائك الثـاني فسـمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوة بدعائك الثالث فقيـل لي دعـاء مكـروب، فسـألت اللـه أن يوليني قتله[1].

---

[1] (?) اتق دعوة المظلوم ص(123-125).

هكذا العلماء

قال الأوزاعي: لما قدم عبد الله بن علي الشام وفرغ من قتل بني أمية، جلس يومًـا على سريره، ودعا أصـحابه أربعـة أصـناف: معهم السـيوف مسـللة صـنف، ومعهم الجزرة[1] صـنف، ومعهم الأعمـدة[2] صـنف، ومعهم الكـافركوب[3] صـنف، ثم بعث إليَّ، فلما صرت بالباب أنزلوني عن دابتي، وأخذ اثنان بعضدي ثم أدخلوني بين الصفوف وأنا أتخطى القتلى – وكـان يومئـذ قتـل نيفًـا وسـبعين بالكفاركوبـات – حـتى أقـاموني بحيث يسـمع كلامي، فسـلمت عليـه، فلم يرد، وأخذ ينكت بخيزرانة كانت في يده، ثم أشار بيده فأجلست على كرسي.

فقـال لي: أنت عبـد الـرحمن بن عمـرو الأوزاعي؟

قلت: نعم أصلح الله الأمير.

قال: يا أوزاعي، مـا تـرى في مـا صـنعنا

---

[1] (?) الجزرة: أعمدة من حديد.
[2] (?) الأعمدة: السيوف التي لها شطيبة في متن واحد.
[3] (?) الكافركوب: الخشبة الغليظة القصيرة.

من إزالـة أيـدي أولئـك الظلمـة عن العبـاد والبلاد؟ أجهـادًا ورباطًـا هـو؟ فقلت: أصـلح الله الأمير قد كـان بيـني وبين داود بن علي مودة.

قال: لتخبرني.

ففكرت ثم استسلمت للموت.

فقلت: أيهـا الأمـير سـمعت يحـيى بن سـعيد الأنصـاري يقـول: سـمعت محمـد بن إبراهيم الـتيمي يقـول: سـمعت علقمـة بن وقـاص يقـول: سـمعت عمـر بن الخطـاب يقول: سمعت رسول اللـه ﷺ يقـول: «**إنمـا الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مـا نـوى، فمن كـانت هجرتـه إلى اللـه ورسوله، فهجرته إلى الله ورسـوله، ومن كـانت هجرتـه لـدنيا يصـيبها, أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هـاجر إليه**».

فنكت بالخيزرانـة أكـثر ممـا كـان ينكت، وجعــل من حولــه يقبضــون أيــديهم على قبضات سيوفهم.

ثم قال: فما تقول في أموالهم؟

قلت: إن كـانت في أيـديهم حرامًـا فهي حرامٌ عليـك أيضًـا، وإن كـانت لهم حلالاً فلا تحل عليك إلا بطريق شرعي.

فنكت أشد مما ينكت من قبل.

ثم قـال: يـا أوزاعي مـا تقـول في دمـاء بني أمية؟

فسألني مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً، فحرت.

فقـال: قـد علمت من حيث حـدث، أجب إلى ما سألتك عنه.

قلت: قد كان لهم عليك عهـد، وإن كـان ينبغي لك أن تفي لهم بالعهد الذي جعلته.

قال: ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا.

فأجهشت نفسي وكرهت القتل فـذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها.

فقلت: دماؤهم عليك حرامٌ.

فغضـب؛ وانتفخت أَوْداجُـه واحمـرت عيناه.

فقال: ويحك ولم؟

فقلت: حـدثني أخـوك داود بن علي أن رسـول اللـه ﷺ قـال: «**لا يحل دم امـرئ مسـلم إلا بواحـدة من ثلاث: الـدم بالدم، والـثيب الـزاني، والمرتـد عن الإسلام**».

قال: إنك لتقول هذا؟!

ونكت بالخيزرانة أشد من ذلك.

قلت: رسول الله ﷺ قاله.

قال: ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قـال: أليس كـان رسـول اللـه ﷺ أوصـى لعلي؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين.

فسكت وقد اجتمع غضبًا، فجعلت أتوقـع رأسي يسقط بين يدي.

ثم قال: ألا نوليك القضاء؟

فقلت: إن أسـلافك لم يكونـوا يشـقون عليَّ في ذلـك، وإني أحب أن يتم مـا ابتدؤوني به من الإحسان.

فقال: كأنك تحب الانصراف.

فقلت: إن ورائي حرمًــا وهم محتــاجون إلى القيـــام عليهن وســـترهن وقلـــوبهن مشغولة بسببي.

ونكس ونكست أنتظر، فأطلت ثم قلت: البول.

فأشــار بيــده هكـذا – أي اذهب – فقمت فجعلت لا أخطو خطوة إلا ظننت أن رأسي تقع عندها.

فخرجت فركبت وسـرت غـير بعيـد فـإذا برسوله ورائي, فنزلت.

وقلت: قــد بعث ليأخــذ رأســي، أصــلي ركعتين. فكبرت فجاء وأنا قائم أصــلي، وإذا معه مائتـا دينـار، فقـال: يقـول لـك الأمـير: استنفق هذه.

قال: ففرقتها قبل أن أدخل بيـتي؛ وإنمـا أخذتها خوفًا.

ويُقــال: إن الأمــير عــرض عليــه الفطــر عنده فأبى أن يفطر عنده[1].

---

[1] (?) صــفحات مضــيئة من حيــاة الســابقين (1/112-114).

أدرك الحسن بن سفيان

من غريب مـا اتفـق لـه: أن الحسـن بن سفيان كان هو وجماعة من أصحابه بمصـر في رحلتهم إلى الحـــديث، فضـــاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيـام لا يـأكلون فيهـا شـــيئًا، ولا يجـــدون مـــا يبيعونـــه للقـــوت، فاضـــطرهم الحـــال إلى تجشـــم الســـؤال، وأنفت أنفســـهم من ذلـــك، وعـــزت عليهم وامتنعت كـل الامتنـاع، والحاجـة تضـطرهم إلى تعـاطي ذلـك، فـاقترعوا في مـا بينهم: أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوقعت القرعة على الحسين بن سفيان هذا.

فقام عنهم، فاختلى في زاويـة المسـجد الذي هم فيه، فصلى ركعتين أطـال فيهمـا، واستغاث بالله عـز وجـل، وسـأله بأسـمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخـل المسـجد شـابٌ حسـن الهيئـة مليحُ الوجـه فقال:

- أين الحسنُ بن سفيان؟

فقلت: أنا.

فقال: الأمير طولون يقرأ عليكم السـلام ويعتذر إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم.

فقلنا له: ما الحامل له على ذلك؟

فقال: إنه أحب أن يختلي اليـوم بنفسـه، فبينمـا هـو الآن نـائمٌ إذ جـاءه فـارسٌ في الهواء بيده رمحٌ فدخل عليه منزلـه، ووضـع عقب الرمح في خاصرته فوكزه، وقال:

قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصـحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منــذ ثلاث جياع في المسجد الفلاني.

فقال له: من أنت؟

فقال: أنا رضوان خازن الجنة.

فاسـتيقظ الأمـير وخاصـرته تؤلمـه ألمًـا شديدًا.

فبعث بالنفقة في الحال إليكم.

ثم جاء لزيارتهم واشترى مـا حـول ذلـك المسـجد ووقفـه على الـواردين عليـه من أهل الحديث. جزاه الله خيرًا[1].

---

[1] (?) نقلاً عن: المختـار من فرائد النقـول والأخبـار (

اصبر ... فالفرج قريب

عن بعض تجـار الكـرخ ببغـداد، قـال: كنت أعامل رجلاً من الخراسـانية، أبيـع لـه في كـل موسـم متاعًـا، فـأنتفع من سمسـرته بـألوف دراهم.

فلما كان سـنة من السـنين تـأخر عـني، فـأثر ذلـك في حـالي، وتـواترت عليَّ محن، فأغلقت دكاني وجلست في بيـتي، مسـتترًا من دَيْنٍ لحقني، أربع سنين.

فلما كان في وقت الحاج، تتبعت نفسـي خبر الخراساني، طمعًا في إصلاح أمري به، فمضيت إلى سوق يحيى فلم أعط له خبرًا، فرجعت، فنزلت الجزيرة وأنا تعب مغموم.

وكـان يومًـا حـارًا، فـنزلت إلى دجلـة، فتغسلت، وصـعدت، فابتـل موضـع قـدمي، فقلعت رجلي قطعة من الرمـل، انكشـفت عن سيرٍ[1].

فلبسـت ثيـابي، وجلسـت مفكـرًا أولـع بالسـير، فلم أزل أجـره حـتى ظهـر لي

(58-3/56).

[1] (?) السـير: قـدّة من الجلد مسـتطيلة، ما زال هـذا اسمها ببغداد.

هميـان[1] موصـول بــه، فأخذتــه، فــإذا هــو مملوء دنانير، فأخفيته تحت ثيــابي، ووافيت منزلي، فإذا فيه ألف دينار.

فقويت نفسي قوة شـديدة، وعاهـدت اللـه عز وجل، أنه متى صـلحت حـالي، وعـادت، أن أعـرف الهميـان، فمن أعطـاني صـفته، رددتـه عليه[2].

واحتفظت بالهميان، وأصلحت أمري مــع غرماني، وفتحت دكاني، وعدت إلى رسمي من التجارة والسمسرة، فما مضت إلا ثلاث سنين حتى حصل في ملكي ألوف دنانير.

وجاء الحُجَّاج، فتتبعتهم لأعرف الهميــان، فلم أجــد من يعطيــني صــفته، فعــدت إلى دكاني.

فبينمـا أنـا جـالس، إذا رجـل قـائم حيـال دكاني، أشعث، أغــبر، وافي الســبال[3]، في

---

[1] (?) الهميان: فارسـية: حـزام عـريض يـودع في باطنه المال ويشد على الوسط، ما زال هذا اسمه ببغداد.

[2] (?) المشروع أن يعرف اللقطة سـنة قبـل أن يتصـرف بها.

[3] (?) وافي السبال: يريد أنه لم يقص شـيئًا من شـاربه, وتركه حتى يدور حول فمه, ويتهدل على شفتيه.

خلقه سـؤال[1] الخراسـانية وزيهم، فظننتـه سـائلاً، فأومـأت إلى دريهمـات لأعطيـه، فأسـرع الانصـراف، فـارتبت بـه، فقمت، ولحقته، وتأملته، فإذا هو صاحبي الذي كنت أنتفع بسمسرته في السنة بألوف دراهم.

فقلت لـه: يـا هـذا، مـا الـذي أصـابك؟ وبكيت رحمة له.

فبكى، وقال: حديثي طويل.

فقلت:الـبيت، وحملتـه إلى مـنزلي، فأدخلتـه الحمـام، وألبسـته ثيابًـا نظافًـا، وأطعمته، وسألته عن خبره.

فقال: أنت تعـرف حـالي ونعمـتي، وإني أردت الخروج إلى الحج في آخر سـنة جئت إلى بغـداد، فقـال لي أمـير البلـد: عنـدي قطعـة يـاقوت أحمـر كـالكف، لا قيمـة لهـا عظمًا وجلالة، ولا تصلح إلا للخليفة، فخـذها معك، فبعها لي ببغداد، واشتر لي من ثمنهـا متاعًا طلبه، من عطر، وطرف، بكـذا وكـذا، وأحمل الباقي مالاً.

فأخذت القطعة الياقوت، وهي كما قال،

[1](?) السؤال: جمع سائل وهو الشحاذ.

فجعلتهـا في هميـان جلـد، من صـفته كيت وكيت، ووصـــف الهميـــان الـــذي وجدتـــه، وجعلت في الهميـان ألـف دينـار عينًـا من مالي، وحملته في وسطي.

فلما جئت إلى بغداد، نزلت أسـبح عشـيًا في الجزيـرة الـتي بسـوق يحـيى، وتـركت الهميان وثيابي بحث ألاحظها.

فلما صعدت من دجلة، لبست ثيابي عنـد غـروب الشـمس، وأنسـيت الهميـان، فلم أذكره إلى أن أصبحت. فعدت أطلبه، فكأن الأرض ابتلعته.

فهـونت على نفســي المصــيبة، وقلت: لعل قيمة الحجـر ثلاثـة آلاف دينـار، أغرمهـا له.

فخـــــرجت إلى الحج، فلمــــا رجعت، حاسبتك على ثمن متاعي، واشتريت للأمير مـا أراده، ورجعت إلى بلـدي، فأنفـذت إلى الأمير ما اشتريته، وأتيته، فأخبرته بخبري.

وقلت له: خذ مني تمام ثلاثة آلاف دينار، عوضًا عن الحجر.

فطمع في، وقال: قيمتـه خمسـون ألـف

دينـار، وقبض عليَّ، وعلى جميـع مـا أملكـه من مال ومتاع، وأنزل بي صنوف المكــاره، حـــتى أشـــهد عليَّ في جميـــع أملاكي[1]، وحبسني سبع سـنين، كنت يـردد علي فيهـا العذاب.

فلما كان في هذه السـنة، سـأله النـاس في أمري، فأطلقني.

فلم يمكنــني المقــام ببلــدي، وتحمــل شماتة الأعداء، فخرجت على وجهي، أعالج الفقــر، بحيث لا أعــرف، وجئت مــع الحج الخراساني، أمشي أكثر الطريــق، ولا أدري ما أعمل، فجئت إليك لأشاورك في معــاش أتعلق به.

فقلت: قـد رد اللـه عليـك بعض ضـالتك، هذا الهميان الذي وصفته، عندي وكـان فيـه ألف دينار أخذتها، وعاهدت الله تعالى، أنني ضـامنها لمن يعطيـني صـفة الهميـان، وقـد أعطيتــني أنت صــفته، وعلمت أنــه لــك، وقمت، فجئته بكيس فيه ألف دينار.

---

[1] (?) أشهد عليه في جميع أملاكه: يعني أنه أجـبره على الإشهاد بأنه باعها للأمير.

وقلت له: تعيش بهذا في بغداد، فإنــك لا تعدم خيرًا إن شاء الله.

فقال لي: يا سيدي الهميان بعينه عندك، لم يخرج عن يدك؟

قلت: نعم.

فشهق شهقة، ظننت أنه قد مات معهــا، وغُشِيَ عليه، فلمـا أفـاق بعـد سـاعة، قـال لي: أين الهميان؟

فجئتــه بــه، فطلب ســكينًا، فأتيتــه بهــا، فخـرج أسـفل الهميـان، وأخـرج منـه حجـر ياقوت أحمر، أشرق منه البيت، وكان يأخــذ بصري شعاعه، وأقبل يشكرني، ويدعو لي.

فقلت له: خذ دنانيرك.

فحلف بكل يمين، لا يأخذها منهـا إلا ثمن ناقة، ومحمل، ونفقة تبلغه، فبعـد كـل جهـد أخــذ ثلاثمائــة دينــار، وأحلــني من البــاقي، وأقــام عنــدي، إلى أن عــاد الحــاج، فخــرج معهم.

فلما كان العـام المقبـل، جـاءني بقـريب مما كان يجيئني به سابقًا من المتاع.

فقلت له: أخبرني خبرك.

فقـال: مضـيت، فشـرحت لأهـل البلـد خبري، وأريتهم الحجر، فجاء معي وجـوههم إلى الأمير، وأعلموه القصـة، وخـاطبوه في إنصافي.

فأخـذ الحجـر، ورد عليَّ جميـع مـا كـان أخذه مـني، من متـاع، وعقـار، وغـير ذلـك، ووهب لي من عنده مالاً.

وقـال: اجعلـني في حـل ممـا عـذبتك وآذيتك، فأحللته.

وعادت نعمتي إلى ما كانت عليه، وعدت إلى تجارتي ومعاشي، وكل هذا بفضل اللـه تعالى وبركتك، ودعا لي.

وكان يجيئني بعد ذلك، حتى مات[1].

---

[1] (?) الفرج بعد الشدة للتنوخي (2/368-372).

اللهم عجِّل فَرَجه

عن عبد العزيز بن موسى قال:

ما رأيت أحدًا قط أعبد لله عز وجـل، ولا أشد خوفًا من بزيع بن زريـع، أخي يزيـد بن زريع، وكان قد دبـرت مواضـع السـجود من جسده ووجهه، ولما مات زريـع أبـوه خلـف مالاً كبيرًا، ورباعًـا ودَيْنًـا عريضـة، فلم يأخـذ بزيع ولا يزيد أخوه من ميراثـه شـيئًا، وتركـا ذلـك، فأخـذه أقاربهمـا وهمـا حاضـران قـد سـلما لهم ذلـك. وكـان بزيـع هـذا مُجـاب الدعوة من وقته وسـاعته، ولقـد أتـاه يومًـا رجل من جيرانه، كان بزيع يعرفـه بالعفـاف والخـير والسـتر. ثم ظهـرت عليـه الفاقـة، فـأتى إلى بزيـع فوجـده يصـلي فجلس إلى جانبه الأيمن، فعلم بزيع أن لـه إليـه حاجـة، فأوجز وسلم، وأقبل بوجهه عليـه فقـال لـه الرجل:

مـا جئتـك حـتى أجهـدني الضـر، وأجهـد عيالي، ولم آتك إلا ملتمسًـا لبركـة دعائـك، وإني لواثــق باللــه عــز وجــل في رزقي، متوكل عليه، لكـني أريـد أن تـدعو اللـه لي

في تعجيله وتيسيره.

فقال بزيع: اللهم عجـل فرجـه، والطـف له من سعة فضلك.

ثم رجـع إلى صـلاته، فمـا كـان إلا نحـو سـاعتين، وذلـك الرجـل قاعـد على يمين بزيع، ولم يبرح، حـتى أقبـل رجـل لـه جـدة وثروة فجلس إلى جانب بزيع الأيسر، فعلم بزيع أن له إليه حاجة، فأوجز وسـلم وأقبـل عليه فقال له الرجل:

إن عنـدي مائـة دينـار من وجـه طيب، أمرني صاحبها أن أدفعها إلى مستحق، فأنـا مهموم بها منذ مـدة كـذا وكـذا، فلمـا أردت دفعها إلى إنسان، عارضني فيه شك في أن يكون مستحقًا أم لا، فإني في ساعتي هـذه لنـائم إذ أتـاني آتٍ في منـامي فقـال لي: «امض بالدنانير التي عندك إلى بزيع فأنفـذ فيهـا أمـره» وهي هـذه قـد أتيتـك بهـا. ثم أخرجها من كمّه في صرة. فقـال لـه بزيـع: ادفعها إلى هذا الرجل.

والرجـل لم يكن زال بعـد من موضـعه، فدفعها إليه، ونهضا جميعًا. ومضى كل واحد

منهمـا إلى منزلـه، وقـام بزيـع إلى صـلاته، فأقبل عليها كما كان قبل ذلك[1].

[1] (?) كتاب المستغيثين بالله تعالى ص(49، 50).

الباحث عن الحقيقة

عن أنس -رضـي اللـه عنـه- قـال: قـال رسول اللـه ﷺ: «**إن الجنـة لتشـتاق إلى ثلاثة: علي، وعمـار، وسـلمان**» [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وقصـــة إســـلام ســـلمان الفارســـي وتحريه وطلبـه للحـق، آفـاقٌ ومنـارةٌ لا يُدرك شأوها، لسان حاله يقول:

تركنا البحار الزاخرات

فمن أين يدري الناس

عن ابن عبــاس قــال: حــدثني ســلمان الفارسي قـال: كنت رجلاً فارسـيًا من أهـل أصــبهان، من أهـل قريــة منهــا يُقــال لهــا: «جيّ»[1]، وكــان أبي دهقانهــا، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل بي حبه إيـاي حـتى حبســني في بيتــه كمــا تحبس الجاريــة، فاجتهدت في المجوسية، حـتى كنت قـاطن النار الـذي يوقـدها، لا يتركهـا تخبـو سـاعة. وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فَشُغِلَ في بنيان

---

[1] (?) جَيّ، بــالفتح والتشــديد: مدينة ناحية أصــبهان القديمة.

له يومًا، فقال لي: يا بـني، إني قـد شـغلت في بنياني هـذا اليـوم عن ضـيعتي، فـاذهب فأطلعها. وأمرني ببعض ما يريـد، فخـرجت، ثم قال: لا تحتبس عليَّ، فإنك إن احتبسـت عليَّ، كنت أهم إلى من ضـيعتي، وشـغلتني عن كـل شـيء من أمـري. فخـرجت أريـد ضـيعته، فمـررت بكنيسـة من كنـائس النصـارى، فسـمعت أصـواتهم فيهـا وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إيـاي في بيتـه، فلمـا مـررت بهم، وسـمعت أصـواتهم، دخلت إليهم أنظـر مـا يصـنعون، فلمـا رأيتهم أعجبتـني صـلواتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هـذا واللـه خـيرٌ من الـدين الـذي نحن عليـه. فواللـه مـا تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضـيعة أبي ولم آتهـا، فقلت لهم: أين أَصْـلُ هـذا الدين؟ قالوا: بالشـام. قـال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك مـا عهـدت؟ قلت: يـا أبت، مـررت بنـاس يصـلون في كنيسـة لهم، فـأعجبني مـا رأيت من دينهم، فواللـه مـا

زلت عندهم حتى غربت الشمس. قـال: أي بني، ليس في ذلك الدين خـير، دينـك ودين آبائك خـير منـه. قلت: كلا واللـه! إنـه لخـير من ديننا. قـال: فخـافني، فجعـل في رجلي قيدًا، ثم حبسني في بيته. قـال: وبعثت إلى النصــارى فقلت: إذا قــدم عليكم ركب من الشام تجـار من النصـارى، فـأخبروني بهم. فقـــدم عليهم ركب من الشـــام. قـــال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضـوا حـوائجهم، وأرادوا الرجعـة، فـأخبروني. قـال: ففعلـوا. فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قـدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قـالوا: الأسـقف في الكنيسة. فجئتـه، فقلت: إني قـد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكـون معـك أخـدمك في كنيسـتك، وأتعلم منـك، وأصـلي معـك. قال: فادخل. فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعــوا إليـه منهـا شـيئًا اكتـنزه لنفسـه، ولم يعطـه المساكين، حـتى جمـع سـبع قلال من ذهب وورق، فأبغضـته بغضًـا شـديدًا؛ لمـا رأيتـه يصـنع. ثم مـات، فـاجتمعت إليـه النصـارى

ليـدفنوه، فقلت لهم: إن هـذا رجـل سـوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيهـا، فـإذا جئتم بهـا، كنزهـا لنفسـه، ولم يُعـط المسـاكين. وأريتهم موضـع كـنزه سـبع قلال مملـوءة، فلمـا رأوهـا قـالوا: واللـه لا ندفنـه أبـدًا. فصلبوه ثم رموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل جعلـوه مكانـه، فمـا رأيت رجلاً – يعـني لا يصلي الخمس – أرى أنه أفضل منـه، أزهـد في الـدنيا، ولا أرغب في الآخـرة، ولا أدأب ليلاً ونهارًا، ما أعلمني أحببت شيئًا قط قبله حبـه، فلم أزل معـه حـتى حضـرته الوفـاة، فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمـر الله، وإني والله ما أحببت شـيئًا قـط حبـك، فماذا تأمرني وإلى من توصـيني؟ قـال لي: يا بـني واللـه مـا أعلمـه إلا رجلاً بالموصـل، فأته، فإنك سـتجده على مثـل حـالي. فلمـا مـــات وَغُيِّب، لحقت بالموصـــل، فـــأتيت صـــاحبها، فوجدتـــه على مثـــل حالـــه من الاجتهاد والزهد، فقلت له: إن فلانًا أوصاني إليك أن آتيك وأكـون معـك. قـال: فـأقم أي بني. فـأقمت عنـده على مثـل أمـر صـاحبه حـتى حضـرته الوفـاة، فقلت لـه: إن فلانًـا

أوصى بي إليك، وقد حضـرك من أمـر اللـه ما ترى، فإلى من توصـي بي، ومـا تـأمرني به؟ قال: واللـه مـا أعلم، أي بـني، إلا رجلاً بنصيبين. فلما دفناه، لحقت بالآخر، فـأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره المـوت، فأوصـى بي إلى رجـل من أهـل عموريـة بـــالروم، فأتيتـــه فوجدتـــه على مثـــل حــالهم، ,اكتســبت حــتى كــان لي غنيمــة وبقـــيرات. ثم احتضـــر، فكلمتـــه؛ إلى من يوصي بي؟ قال: أي بـني، واللـه مـا أعلمـه بقي أحد على مثـل مـا كنـا عليـه آمـرك أن تأتيه، ولكن قد أظلـك زمـان نـبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخـل، وإن فيـه علامـات لا تخفى، بين كتفيـه خـاتم النبـوة، يأكـل الهديـة ولا يأكـل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلــك البلاد فافعل، فإنـه قـد أظلـك زمانـه. فلمـا واريناه، أقمت حتى مر بي رجـال من تجـار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملـوني إلى أرض العــرب، وأعطيكم غنيمــتي وبقــراتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جـاؤوا بي وادي القـرى، ظلمـوني،

فبـاعوني عبـدًا من رجـل يهـودي بـوادي القـرى، فوالله لقـد رأيت النخـل، وطمعت أن يكون البلد الـذي نعت لي صـاحبي. ومـا حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فابتاعني من صـاحبي، فخـرج بي حتى قدمنا المدينة، فوالله ما هـو إلا أن رأيتهـا، فعـرفت نعتهـا. فـأقمت في رقي، وبعث الله نبيـه ﷺ بمكـة، لا يُـذكر لي شـيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمـل لصـاحبي في نخلة له، فواللـه إني لفيهـا إذ جـاءه ابن عم لـه، فقـال: يـا فلان، قاتـل اللـه بـني قيلـة، واللـه إنهم الآن لفي قبـاء، مجتمعـون على رجل جاء من مكة، يزعمون أنه نبي. فوالله ما هـو إلا أن سـمعتها، فأخـذتني العـرواء – يقول: الرعدة – حتى ظننت لأسـقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ فرفـع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: مـا لــك ولهــذا، أقبــل على عملــك. فقلت: لا شــيء، إنمــا ســمعت خــبرًا، فــأحببت أن أعلمه. فلما أمسيت، وكان عندي شيء من طعـام، فحملتـه وذهبت إلى رسـول اللـه ﷺ

وهو بقباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابًا لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فـرأيتكم أحـق مَنْ بهـذه البلاد، فهاك هذا، فكل منه. قـال: فأمسـك، وقال لأصحابه: «**كلوا**». فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي. ثم رجعت، وتحول رسول اللـه إلى المدينـة، فجمعت شيئًا كان عندي ثم جئته بـه فقلت: إني قـد رأيتك لا تأكل الصـدقة، وهـذه هديـة. فأكـل رسـول اللـه وأكـل أصـحابه، فقلت: هـذه خلتـان. ثم جئت رسـول اللــه وهــو يتبـع جنازة وعلي شملتان لي وهـو في أصـحابه، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخــاتم الـذي وصـف، فلمـا رآني اسـتدبرته، عـرف أني أتثبت في شـــيء وصـــف لي، فـــألقى رداءه عن ظهـــره، فنظـــرت إلى الخـــاتم فعرفته، فانكببت عليـه أقبلـه وأبكي، فقـال لي: «**تحـول**». فتحـولت، فقصصـت عليـه حديثي كما حـدثتك يـا ابن عبـاس، فـأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شـغل سـلمان الـرق حـتى فاتـه مـع رسول الله بدر وأحد. ثم قال رسول اللــه

: «**كاتب يـا سـلمان**» فكـاتبت صـاحبي على ثلاثمائــة نخلــة أحييهــا لــه بــالفقير وبــأربعين أوقيــة، فقــال رســول اللــه لأصـحابه: «**أعينـوا أخـاكم**». فأعـانوني بالنخـــل: الرجـــل بثلاثين ودية[1]، والرجـــل بعشــرين، والرجــل بخمس عشــرة، حــتى اجتمعت ثلاثمائـة وديـة، فقـال: «**اذهب يا سـلمان، ففقـر لهـا، فـإذا فـرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**». ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منهــا، جئته وأخبرته، فخـرج معي إليهـا نقـرب لـه الوادي، ويضعه بيده، فوالذي نفس سـلمان بيده، مـا مـاتت منهـا وديـة واحـدة، فـأديت النخل، وبقي عليَّ المال. فأتى رسول اللــه بمثــل بيضــة دجاجــة من ذهب من بعض المغـازي، فقـال: «**مـا فعـل الفارسـي المكـاتب**؟» فـدعيت لـه، فقـال: «**خـذها فأد بها ما عليك**». قلت: وأين تقـع هـذه يـا رسـول اللـه ممـا عليَّ؟ قـال: «**خذها، فإن الله سـيؤدي بهـا عنك**». فأخـذتها فــوزنت لهم منهــا أربعين أوقيــة، وأوفيتهم

[1](?) الودية: صغار الفسيل. الجمع ودي.

حقهم وعتقت، فشـهدت مـع رسـول اللـه ﷺ الخندق حرًا، ثم لم يفتني معه مشهدٌ[1].

[1] صـلاح الأمة في علو الهمة (4/619-623) وقـال: رجاله ثقات وإسناده قوي.

قصة النفر الثلاثة

أخرج البخـاري ومسـلم من حـديث عبـد الله بن عمـر رضـي اللـه عنهمـا أن رسـول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفـر يتماشـون أخذهم المطـر، فمـالوا إلى غـار في الجبــل، فــانحطت على فم غــارهم صـخرة من الجبـل فـأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمــالاً عملتموهـا للـه صـالحة فـادعوا اللـه بهـا؛ لعلـه يفرجهـا فقـال أحـدهم: اللهم إنــه كـان لي والـدان شــيخان كبيران، ولي صبية صـغار كنت أرعى عليهم، فــــإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالـدي أسـقيهما قبـل ولـدي، وإنه نـاء بي الشـجر فمـا أتيت حـتى أمسيت فوجـدتهما قـد نامـا، فحلبت كمــــا كنت أحلب، فجئت بــــالحليب فقمت عنــــد رأســــيهما، أكــــره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبـدأ بالصبية قبلهمـا، والصـبية يتضـاغون عنــد قــدمي، فلم يــزل ذلــك دأبي**

ودأبهم حتى طلـع الفجـر، فـإن كنت تعلم أني فعلت ذلــك ابتغــاء وجهــك فافرج لنا فرجـة نـرى منهـا السـماء ففــرج لهم فرجــة، وقــال الثــاني: اللهم إنــه كـانت لي ابنــة عم أحبهــا كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت إليها نفسها، فـأبت حـتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها فلما قعدت بين رجليهـا، قالت: يا عبد الله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقـه فقمت عنهـا، اللهم فــإن كنت تعلم أني قــد فعلت ذلــك ابتغاء وجهك فافرج لنا منهـا، ففـرج لهم فرجـة، وقـال الآخـر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا لم أعرفه، فلما قضــى عملــه قــال: أعطــني حقي، فعرضــت عين حقــه، فتركــه، ورغب عنــه، فلم أزل أزرعــه حــتى جمعت منه بقـرًا وراعيهـا، فجـاءني وقـال: اتــق اللــه ولا تظلمــني، وأعطــني حقي، فقلت: اذهب إلى تلــك البقــر وراعيهـا، فقـال: اتـق اللـه ولا تهـزأ

بي، فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ تلـك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق، فـإن كنت تعلم أني فعلت ذلــك ابتغــاء وجهك فـافرج مـا بقي، ففـرج اللـه عنهم».

اللهم خذ لي بقلب الحجاج

ذكر التنـوخي في «الفـرج بعـد الشـدة» عن أبي سعد البقال أنه قال:

كنت محبوسًا في ديماس الحجاج، ومعنا إبـراهيم الـتيمي، فبـات في السـجن، فـأتى رجل، فقال له: يا أبا إسحاق، في أي شيء حُبِست؟

فقال: جـاء العريـف، فتـبرأ مـني وقـال: هذا كثير الصوم والصـلاة، وأخـاف أن يـرى رأي الخوارج.

فإنا لنتحدث مـع مغيب الشـمس، ومعنـا إبراهيم التيمي، إذ دخل علينا رجل السجن، فقلنا: يا عبد الله، ما قصتك وأمرك؟

فقـال: مـا أدري ولكـني أخـذت في رأي الخوارج، ووالله، إنه لرأي ما رأيته قـط، ولا أحببته، ولا أحببت أهله، يا هـؤلاء، ادعـوا لي بوَضوء[1]، فدعونا له به، ثم قام فصلى أربع ركعـات، ثم قـال: اللهم إنـك تعلم إني كنت على إسـاءتي وظلمي، وإسـرافي على

[1] (?) الوَضوء: بفتح الواو: الماء المتوضأ به.

نفسـي لم أجعـل لـك ولـدًا، ولا شـريكًا، ولا ندًا، ولا كفؤًا، فإن تعـذب فعـدل، وإن تعـف فإنك أنت العزيز الحكيم، اللهم إني أسـألك يا من لا تغلطه المسـائل، ولا يشـغله سـمع عن سمع، ويا من لا يبرمـه إلحـاح الملحين، أن تجعـــل لي في ســـاعتي هـــذه فرجًـــا ومخرجًا ممـا أنـا فيـه، من حيث أرجـو ومن حيث لا أرجو، وخذ لي بقلب عبدك الحَجَّاج، وسمعه وبصره ويده ورجلـه حـتى تخرجـني في ساعتي هذه فإن قلبه وناصيته بيـدك يـا رب يا رب.

قـال: وأكـثر، فوالـذي لا إلـه غـيره، مـا انقطـع دعـاؤه حـتى ضـرب بـاب السـجن، وقيـل: أين فلان؟ فقـام صـاحبنا، فقـال: يـا هؤلاء، إن تكن العافية، فوالله لا أدع الدعاء لكم، وإن تكن الأخــرى فجمــع اللــه بيننــا وبينكم في مستقر رحمته.

قال: فبلغنا من الغد أنه خُلِّيَ سبيله[1].

---

[1](?) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/261، 262).

ثبات امرأة!

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنــه قــال: وقــع في قلب أم شــريك الإســلام فأســلمت وهي بمكــة، وهي إحــدى نســاء قريش ثم إحدى بني عامر بن لؤي، وكــانت تحت أبي العســكر الدوســي فأســلمت، ثم جعلت تــدخل على نســاء قــريش ســرًا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهــر أمرهــا لأهــل مكــة، فأخــذوها وقــالوا: لــولا قومــك لفعلنــا بــك وفعلنــا، ولكن ســنردك إليهم، قــالت: فحملــوني على بعــير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا يســقوني، قــالت: فمــا أتت على ثلاث حـــتى مـــا في الأرض شـــيء أســمعه، قــالت: فــنزلوا مــنزلاً، وكــانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها، وحبسوا عــني الطعــام والشــراب، فلا تزال تلــك حــالي حــتى يرتحلــوا، قــالت: فبينمــا هم قــد نزلــوا مــنزلاً وأوثقــوني في الشمس، واستظلوا منها إذ أنا بــأبرد شــيء على صدري، فتناولته فإذا هو دلــو من مــاء،

فشـربت منـه قليلاً، ثم نُـزع فرفـع، ثم عـاد فتناولته فشربت منه، ثم رفع، ثم عاد أيضًـا فتناولته فشربت منه قليلاً، ثم رفـع، قـالت: فصـنع بي مـرارًا، ثم ركعت فشـربت حـتى رويت، ثم أفضـــت ســـائره على جســـدي وثيابي، فلمـا اسـتيقظوا إذا هم بـأثر المـاء، ورأوني حســنة الهيئــة، قــالوا لي: أتحللت، فأخذت سقاءنا فشربت منه؟ قلت: لا والله ما صنعت، ولكنه كان من الأمـر كـذا وكـذا، قالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا، فلما نظروا أسقيتهم وجـدوها كمـا تركوهـا، فأسـلموا عنـد ذلـك، وأقبلت على النـبي ﷺ، فوهبت نفسها له بغـير مهـر، فقبلهـا ودخـل عليها[1].

---

[1] (?) صفة الصفوة (2/53) والإصابة لابن حجر.

تلمسوا أسباب الفرج

في غرفة ذات ثلاثـة أَسِـرَّة بيضـاء، كـان يرقد على السرير الأوسط رجل في غيبوبة تامـة، لا يعي مـا حولـه من أجهـزة مراقبـة التنفس والنبض وأنابيب المحاليل الطبية.

وفي كـل يـوم منـذ أكـثر من عـام ودون انقطاع كانت تزور ذلك الرجل امرأة ومعها صبي في الرابعة عشرة من عمره ينظـران إليـــه بحنـــان وشـــفقة ويغـــيران ملابســـه ويتفقـدان أحوالـه ويسـألان الجهـاز الطـبي عنه ولا جديد في الأمـر. الحالـة كمـا هي لا تقدم ولا تأخر في صحته. غيبوبة تامة وأمل مفقـود من شـفائه وقبـل أن تغـادر المـرأة والصبي يرفعان أكف الضراعة إلى الله، ثم يغادران المستشـفى ويعـودان مـرة أخـرى للزيـــارة الثانيـــة في نفس اليـــوم وهكـــذا دواليك.

المرضـى وهيئـة التمـريض والأطبـاء في اسـتغراب تـام من زيـارة المـرأة والصـبي رغم أنه لا جديد في حياة المريض، مـا هـذا الإصرار العجيب على تكرار الزيـارة مـرتين

في اليوم رغم أنـه لا يعي أي شـيء حولـه، وفي غيبوبـة تامـة... كلموهـا بعـدم جـدوى زيارتهــا لـــه ودعوهـــا للزيـــارة مـــرة في الأسـبوع. وكـانت المـرأة لا تـرد إلا بكلمـة «اللـه المسـتعان»... «اللـه المسـتعان»... وهكذا. وذات يوم، وقبل موعد زيارة المرأة والصـبي بـوقت قصـير، تحـرك الرجـل في سـريره وتقلب من جنب إلى جنب آخـر ثم فتح عينيه وأبعد جهـاز الأوكسـجين واعتـدل في جلسته ثم نادى الممرضة وسط ذهـول الحضور وطلب منها إبعـاد الأجهـزة الطبيـة المسـاعدة، فرفضـت واسـتدعت الطـبيب الـذي كـان في حالـة ذهـول تـام، وأجـرى فحوصًا سريعة له، فوجد الرجـل في منتهى الصـحة والعافيـة وطلب إبعـاد الأجهـزة وتنظيف مكانها في جسده.

وكـان موعـد الزيـارة قـد بـدأ. ودخلت المرأة والصبي وما أن رأياه حـتى اختلطت الـدموع بالابتسـامات، والبكـاء بالـدعاء والحمد والثناء للـه الـذي أتم نعمـة العافيـة على زوجها. وهنا قال الطبيب للمـرأة: هـل تـوقعت أن تجديـه يومًـا مـا بهـذه الحالـة؟

فقالت: نعم والله كنت أتوقع أن أدخل عليه يومًا وأجده جالسًا بانتظارنا... فقال لها: إن هناك شيئًا مـا حصـل، ليس للمستشـفى أو الأطباء دورٌ فيه. فبالله عليك أخبريني لماذا تـأتين يوميًـا مـرتين، ومـاذا تفعلين؟ قـالت: بما أنك سألتني بالله فأقول لــك: كنت أزور زوجي الزيـــارة الأولى للاطمئنـــان عليـــه والدعاء له، ثم أذهب أنا وابني إلى الفقــراء والمساكين في الأحياء الشعبية ونقــدم لهم الصـدقات بغيـة التقـرب إلى اللـه لشـفائه. فلم يخيب الله رجاءنا ودعاءنا، فخرجت في آخـر زيـارة وزوجهـا معهـا إلى الـبيت الـذي طـال انتظـاره لعـودة صـاحبه إليـه، لتعـود البسـمة والنـور والفرحـة لـه وإلى أفـراد أسرته. وأنا بـدوري أكـرر لكم مـا أقولـه: لا تيأسوا ولكن تلمسوا الأسباب واجتهدوا في الدعاء والصبر والصلاة والله المستعان[1].

---

[1](?) لا تيأس ص(32، 33).

مرحبًا بالموت

هذه إحـدى الفتيـات الصـالحات، سـلكت درب الهداية والخير، وراقبت الله تعالى في أقوالهـا وأفعالهـا، ثم يسـر اللـه لهـا شـابًا صالحًا مستقيمًا، فتزوجها، وعاشا معًا حيـاة هادئـة طيبـة، في ظـل طاعـة اللـه تعـالى، والتزام أوامره.

ويقدر الله تعالى أن ينتقـل عمـل الـزوج إلى مدينـة صـغيرة، فـانتقلت الزوجـة مـع زوجهـا إلى تلـك المدينـة الصـغيرة، وأقامـا سويًا هنـاك، وحملت تلـك المـرأة الصـالحة في تلـك المدينـة بمولودهـا الأول، ومـرت عليها شهور الحمل بطيئـة مملـة، مصـحوبة بعنـاء الحمـل ومشـاقه العسـيرة، وحـانت ساعة الولادة، واشـتدت آلام المخـاض على تلـك الفتـاة الصـالحة، وتعسـرت ولادتهـا كـولادة طبيعيـة، فأسـرع بهـا زوجهـا إلى المستشفى الوحيد في المدينة، لتتم ولادتها تحت إشـراف طبيبـة النسـاء والـولادة في ذلك المستشفى المتواضع، ولكن المفاجـأة كـانت, أن طبيبـة النسـاء تلـك، كـانت في

إجـازة اضـطرارية ولن تعـود إلى عملهـا إلا بعد أربعة أيام، ولا يوجد أحد يقوم بعمليـات التوليد إلا طبيب رجل!!

ووسـط الآلام الرهيبـة الـتي تعـاني منهـا زوجته، رق قلبه لها، فوافق على أن يجــري لها الطبيب الرجل عملية الولادة القيصرية، على اعتبار أن هذا من باب الضــرورات، ثم عاد إلى زوجته التي تئن وتصرخ وتتلوى من شدة الألم، وأخبرها بهذا النبـأ المـؤلم، فمـا كــان من الزوجـــة إلا أن صـــرخت بـــأعلى صوتها قائلة: والله لا يكون هذا أبدًا!! رجــل يولــدني!!، ليت أمي لم تلــدني!! فبادرهــا زوجهــا قــائلاً: زوجــتي العزيــزة: أرجــوك افهميني!! أنا لست ممن نزعت الغـيرة من قلــوبهم، فأصــبحوا يرضــون بــأن تتكشــف نساؤهم ومحارمهم أمام الرجال الأجـانب – حتى ولو كانوا أطباء -، ولكن مراعــاة مــني لحالتــك الصـحية، وافقت على ذلــك، وأنــا أخشـى إن لم يقم الطـبيب بـإجراء عمليـة الولادة أن تموتي!!

فقالت له والابتسامة تعلو محياها: مرحبًا بالموت!! كلنـا سـنموت!! ثم أنسـيت قـول

النـبي ﷺ: «**المـرأة تمـوت في نفاسـها شهيد**»، ومن تـرك شـيئًا للـه عوضـه اللـه خيرًا منه!!

حاول الـزوج أن يقنعهـا، ولكنهـا رفضـت بكل إصـرار، وبالفعـل عـاد بهـا إلى بيتـه!!، وما كادت تمضـي سـاعة على وصـولها إلى البيت، حتى فـرج اللـه عنهـا كربتهـا، وتمت ولادتهـا، وخـرج المولـود على خـير حـال، فالحمد لله أولاً وأخرًا.

فكانت بعد ذلـك، تـداعب زوجهـا وتقـول له: ألم أقل لك: «من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه»[1].

---

[1] (?) نساء رباهن القرآن ص(92-94).

شعرة معاوية

تــزوجت إلهــام قريبهــا بِنَــاءً على رغبــة أبداها لأهلها، فلم تمانع لأنه رفيق الطفولة. وعاشا في سـعادة بضـعة أشـهر، ثم بـدأت تطفو على السطح خلافـات يمكن تجاوزهـا بالمرونــة قليلاً، والتفاضــل أحيانًــا كثــيرة، ولكن حبهما للأطفال جعلهما أكثر حساسية وأعمق تأويلاً لكل حركة، أو كلمــة، وخاصــة بعــد مضــي ســنتين دون إنجــاب، مــع أن الأطباء أخبروهمـا بسـلامتهما من كـل عيب أو مانع للإنجـاب، لكن إرادة اللـه فـوق كـل علم.

بدأت الخلافـات تتجـاوز غرفتهمـا لتصـل إلى أســماع أهــل الــزوج الــذين يســكنان معهم، وكثيرًا ما يُستدعى الوالدان للإصـلاح أو للتحــاكم وتقــاربت فــترات الخلافــات والشـجار حـتى أصـبحت الشـغل الشـاغل لأهــل الــبيت، ووصــلت إلى أهــل الزوجــة فأُسندت إليهم مهمة الإصـلاح الـتي قبلوهـا متفــائلين تفــاؤلاً مريضًــا لإنقــاذ مــا يمكن إنقاذه. ومما يؤسف أنها خلافـات كخلافـات

الأطفـال، يثـورون لأتفـه سـبب ويرضـون بأسرع وقت، ولكن هذه الخلافات المتكررة على مدى سبع سنوات تركت آثـارًا وتـرَّات كما تترك المعصـية نقطـة سـوداء في قلب المـؤمن، وضـاق الأهـل ذرعًـا فوجـد أهـل الطرفين أن العلاقة الزوجية بينهمـا صـارت مرضًا عضـالاً لا بـرء منـه إلا بمشـرط يعيـد الصحة لكليهما، فكان الطلاق.

خطب كثيرًا من الفتيات لكنه كان يحجم في آخـر لحظـة خوفًـا من المجهـول، فهـو يعـرف قريبتـه ولم يسـتطع التفـاهم معهـا، ومضى على ذلـك سـبع سـنوات كـانت هي أيضًا تُخْطَب ولكنها ترفض أن تعيد التجربة. وما زالت مرارة الفشـل في فمهـا، وعـاث بعض المتطفلين في إفسـاد العلاقـة خوفًـا أن تعود لغايات في نفس يعقوب، ولكن كَلَّا لا يصدق عن الآخر شيئًا، فأرادوا شيئًا وأراد الله شيئًا آخر.

عنـدما وجـد أهـل الـزوجين أن المـدة طالت دون زواج منهما، اقترحوا عليهمـا أن يعودا إلى بعضهما عسى أن تكـون التجربـة قـد أفادتهمـا، ورغم تخـوف الأهـل وتخـوف

الزوجين لكنهما عادا بعد سبع سنوات بروح وعزم على تخطي العقبات وتجاوز الهفوات وتحكيم العقل والحفاظ على شعرة معاوية بأن يشد أحدهما عندما يرخي الآخر، ولتكن المرونـــة والحــوار الهــادئ المثمــر علاجًــا لمشــاكلها، وهــذا أفضــل من الخــوض في مجهول جديد ومخاطر قد لا تحمد عقباها.

بدأ الأمر صعبًا لكن نفوسهما كانت أكــثر تكيفًا وقلوبهما أكثر تجاوبًا وعقولهمـا أوسـع إدراكًا فاجتازا الصعوبات. وتشاء قدرة اللــه أن تمنحهما طفلاً بعد تسعة شهور، وعنــدما سألوا الطبيب قال: قد تكون حالـة نفسـية؛ لأن كلاً منهما كـان يـرفض الآخـر في عقلـه الباطن، أو أن كثرة الخلافـات وعـدم الأمن النفسي كان سببًا في ذلك وأولها إرادة الله وحكمته.

وبعد الطفـل أعقبـه سـبعة أطفـال بـنين وبنات، وعندما تزوجت أول ابنة لهمـا وهمـا في الخمســين من العمــر كانــا ينصــحانها بالصـــبر والتعقـــل، ويحكيـــان لأولادهمـــا تجربتهما ويضحكان لأنها صارت ذكرى، وأن قدرة الله تجعل المستحيل ممكنًـا والحــزن

سهلاً.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21][1].

---

[1] (?) قطار الزواج والطلاق ص(75-77).

إذا سألت فاسأل الله

كـــان إبـــراهيم بن أدهم إذا أراد الغـــزو اشــترط على أصــحابه الأذان والخدمــة ألا يكون خادمهم ومؤذنهم غيره. فجاء أصحابه يومًا فقالوا له:

يا أبا إسحاق، عزمنا على الغزو ولو نعلم أنك تأكل مما عندنا لسرنا ذلك وقد تناهدنا.

قال: وكم تناهدتم؟

قالوا: دينارًا دينارًا.

قال: أرجو بصنع الله.

ثم تنحى ناحيـــــة فقـــــال: «من أي أخ أستقرض دينارًا، فلان ما أظنـه يخـف عليـه بل فلان مـا أظنـه يخـف عليه» ثم اسـتفاق فبكى وجــرت دموعــه وقــال: «واســوأتاه أطلب من العبيد وأنزل مولاهم، فأيسـر مـا يقول لي العبد إنمـا دفـع إلي مـولاي شـيئًا، فإن أمرني أن أدفع إليك منـه شـيئًا دفعتـه، فبعـــد بـــذل وجهي إلى العبـــد أرجـــع إلى المولى، أفليس يقول لي المولى: (من كان أحــق أن تطلب إليــه أنــا أو عبــدي) فيــا

سوأتاه». ثم انحـدر إلى الشـط فتوضـأ. ثم صلى وخر ساجدًا وقال:

«يا رب، قد علمت ما كـان مـني، وذلـك لجهلي وخطئي، فإن عاقبتني عليه فأنا أهل لذلك، وإن عفوت عـني فـأنت أهـل لـذلك، وقد عرفت حاجتي فاقضها برحمتك».

فوقع بنفسه أن ينظر عن يمينه، فإذا هو بنحـو أربعمائـة دينـار، فتنـاول منهـا دينـارًا واحدًا، وأمسـك عن سـائرها، وقيـدت عنـه، ثم جـاء إلى أصـحابه، فـدفع إليهم الـدينار، وأنكروا حاله فسألوه فكتمهم ذلك، وسكت فلم يخبرهم بشيء من أمره[1].

---

[1] (?) كتاب المستغيثين بالله ص(50، 51).

لا تيأس من روح الله

كـان يــنزل ببــاب الشــام من الجــانب الغــربي من بغــداد رجــلٌ مشــهورٌ بالزهــد والعبادة يقال له: لبيب العابـد، لا يعـرف إلا بهـذا، وكـان النـاس ينتابونـه، وكـان صـديقًا لأبي، فحــدثني لــبيب وقــال: كنت مملوكًـا روميًا لبعض الجند، فرباني، وعلمني العمـل بالسلاح حتى صرت رجلاً، ومات مولاي بعـد أن أعتقني، فتوصلت إلى أن حصـلت رزقـة لي، وتزوجت بامرأتـه، وقـد علم اللـه أنـني لم أرد بذلك إلا صيانتها، فأقمت معها مــدة، ثم اتفــق أنــني رأيت يومًــا حيــة داخلــة في جحرهــا، فأمســكت ذنبهــا، فــانثنت علي فنهشــت يــدي فشــلت ومضــى على ذلــك زمــان طويــل، فشـلت يـدي الأخـرى لغـير سبب أعرفـه، ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرست.

وكنت على تلك الحال ملقى سنة كاملة، لم تبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره، وأنا طريح على ظهـري لا أقـدر على الكلام ولا على الحركة.

وكنت أسـقى وأنـا ريـان، وأتـرك وأنـا عطشـان، وأهمـل وأنـا جـائع، وأطعم وأنـا شبعان، فلمـا كـان بعـد سـنة دخلت امـرأة على زوجـتي، فقـالت: كيـف أبـو علي؟ فقالت لها زوجـتي: لا حي فـيرجى ولا ميت فيسلى.

فأقلقني ذلك وآلمني ألمًا شديدًا.

وبكيت ورغبت إلى اللـه عـز وجـل في سري بالدعاء، وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألمًـا في جسـمي، فلمـا كـان في بقيـة ذلـك اليـوم ضـرب على جسـمي ضـربانًا عظيمًـا، كـاد يتلفـني، ولم أزل على تلـك الحال إلى أن دخل الليل، وانتصف، فسـكن الألم قليلاً فنمت.

فمـا أحسسـت إلا وقـد انتبهت وقت السـحر، وإحـدى يـدي على صـدري، وقـد كـانت طـوال هـذه السـنة مطروحـة على الفـراش لا تنشـال ولا تشـال، ثم وقـع في قلـبي أن أتعـاطي تحريكهـا، فحركتهـا، فتحركت، فقبضت إحدى رجلي، فانقبضـت، فرددتها فرجعت، ففعلت مثـل ذلـك مـرارًا،

ثم رمت الانقلاب من غـير أن يقبلـني أحـد كمـا كـان يفعـل بي أولاً فـانقلبت بنفسـي، وجلسـت، ورمت القيـام فـأمكنني، فقمت، ونــزلت عن السـرير الـذي كنت مطروحًـا عليه وكان في بيت الـدار، فمشـيت ألتمس الحائــط في الظلمــة؛ لأنــه لم يكن هنــاك ســراج إلى أن وقعت على البــاب وأنــا لا أطمع في بصـري، فخـرجت من الـبيت إلى صـحن الـدار، فـرأيت السـماء والكـواكب، تزهر، فكدت أموت فرحًا.

وانطلــق لســاني بــأن قلت: يــا قــديم الإحســان لــك الحمــد. ثم صــحت زوجــتي فقالت: أبو علي؟

فقلت: الساعة صرت أبا علي؟ أسـرجي فأسرجت، فقلت: جيئيني بمقراض، فجاءت به، فقصصـت شـاربًا لي كـان بـزي الجنـد، فقـالت زوجـتي: مـا تصـنع السـاعة يعيبـك رفقاؤك؟.

فقلت: بعد هذا لا أخدم أحدًا غير ربي.

فانقطعت إلى اللـه عـز وجـل، وخـرجت من الدار، وطلقت الزوجـة، ولـزمت عبـادة

ربي، ســبحانك يــا رب مــا أعظم لطفــك وأرأفك بعبادك[1].

---

[1] (?) وأخيرًا جاء الفـرج ص(74-76) وانظر الفـرج بعد الشدة للتنوخي (4/196-198).

لا ترجُ غير الله

عن أبي حسان الزيادي قال: لحقـني مـا يلحـــق الرجـــال من الشـــدائد، واقتضـــاني جماعـــة كنت أعـــاملهم فيمـــا أحتـــاج إليـــه لمنزلي مـا لهم عليَّ، وألحت رقـاعهم فيـه، فشكوت ذلك إلى زوجتي فقالت:

نشـدتك اللـه ألا مـا اقتصـرت على اللـه تبارك وتعالى ولا ترجُ أحدًا من خلقه.

ففعلت ذلك، وكان لي دهليز واسع ينوب عن مجلس في الدار، كنت أجتمـع فيـه مـع الفقهـاء، ونتنـاظر في دقـائق الفقـه، فـإني لجالس فيـه تلـك العشـية، وهـو خـالٍ ممن كـــان يغشـــاه، إذ دخـــل إليَّ رجـــل من الخراسانية يريد الحج، وكـان الـوقت قريبًـا من وقت المسير إلى الحج. فقال لي:

أصلحك الله إن رأيت أن تقبل مني هـذه البدرة من الدراهم وديعـة إلى رجـوعي من الموسم.

قلت: أفعل.

فأخـذتها منـه مضـمونة، فعمـدت إليهـا

ففضضــت عنهــا خاتمهــا وقســمتها في معــاملتي، وفي ســائر مهمــاتي حــتى استنفدتها وقضيت كل دين كان عليَّ. فلمــا أصـبحت ركبت وأطلت. ثم رجعت ووجـدت الخراساني على الباب ينظرني، وهو قد بدا لـه عمَّا عـزم عليـه من الخـروج إلى مكـة، فلمــا رأيتــه ضــاقت بي الأرض وقــال لي: احتجت إلى تلك الوديعة.

قلت لـه: ليس أصـل إليهـا السـاعة، فعـد إليَّ غدًا نقبضها إن شاء الله.

فانصـرف ودخلت إلى زوجـتي فأعلمتهـا بذلك فقالت لي:

ارجــع إلى اللــه عــز وجــل في أمــرك، فليس يملك كشف هذا الكرب عنا غيره.

فرجعت أتضرع إلى الله عز وجل في تلك الليلـة، في إسـدال سـتره، وتعجيـل فرجـه، وفزعت إليـه بهمي وكـربي. ثم ركبت بغلـتي في الغلس، وأنـا لا أدري أين أتوجـه، فعـبرت الجسر وأخذت نحو المخرم، ومـا في نفسـي أحد أقصده واستقبلني رجل راكب فقال لي: إليك بعثت.

قلت: ومن بعثك؟

قال: دينار بن عبد الله.

فأتيته فدخلت عليه وهو جالس فسـألني عن خبري وشأني فقلت له:

ما الذي أوجب إرسالك إليَّ وسؤالك عن شأني؟

قـال: مـا نمت هـذه الليلـة إلا أتـاني آتٍ يقول: «أبـو سـفيان الزيـادي تعـرف خـبره واكفه ما أهمه».

فحدثتـه حـديثي، فـدعا بعشـرين ألـف درهم، فـدفعها إليَّ، فـرجعت فصـليت في مسـجدي صـلاة الصـبح، وجـاء الخراسـاني فوفيته بدرته بتمامها وكمالها، وأنفقت باقي المال في حوائجي، وتوسعت. والحمـد للـه كشاف الكرب[1].

[1] (?) كتاب المستغيثين بالله ص(82، 83).

حين ينتصر الإيمان!!

«راوية» فتاةٌ متدينة، ابتلاهـا اللـه تعـالى بـأب فـاجر، لا يقيم لأوامـر اللـه وزنًـا، ولا يبـالي بشـرائع الإسـلام، فأخـذ يتحلـل من أوامر الله ويخالفها، باسم التحرر والتحضـر والتيسير وعدم التشدد في الدين، وما درى أن هـذا في الحقيقـة ليس بتحضـر ولكنـه تخلـف ورجعيـة وهمجيـة، وكـان هـذا الأب الفـاجر، يحـارب ابنتـه الملتزمـة، بشـتى الوسـائل، وبمختلـف الطـرق؛ لتـتراجع عن درب الهدايـة والاسـتقامة الـذي سـلكته، ووجدت فيه ما كانت تبحث عنه من سـعادة قلبية وانشراح صدرٍ!!

فكان يأخذ كتبهـا وأشـرطتها الدينيـة، ثم يجمعها ثم يَحْرِقُهَا أمام عينيها، وهو يضـحك ويقهقه بصـوت مرتفـع، وراويـة لا تملـك إلا الدموع لتعبر عمـا تشـعر بـه في قلبهـا من لوعة وحزن وأسى، ومـا تعانيـه في فؤادهـا من ألم ومرارة!!

وأحيانًـا كـان يـدخل عليهـا في غرفتهـا، وهي تصلي في ظلام الليـل، فيقطـع عليهـا

صـلاتها، ويـنزع عنهـا حجابهـا، ويصـيح فيهـا قـائلاً: إلى مـتى تصـلين؟!! أمـا شـبعت من الصلاة؟!!

في ذات مرة، دخل عليها أبوهـا غرفتهـا، وقال لها: «رواية» غدًا ستكون عندنا وليمة لبعض أعمامك وأخوالك وأولادهم، ولا بد أن تدخلي للسلام عليهم!!

فقـالت لـه راويـة: سأسـلم على عمي وخالي فقـط، ولكنـني لن أسـلم على أولاد عمي وأولاد خالي، فهم ليسـوا لي محـارم، ولا يجـــوز لي أن أكشـــف لهم وجهي أو أصافحهم بيدي!!

فقال الأب: ماذا تقولين؟!! ما هذا الدين الجديد الذي أتيت به لنا؟ لا بد وأن تسـلمي على أولاد عمـك وأولاد خالـك!! ولا يهمـني هذا حلال أم حرام!! المهم أنـني مـا عنـدي بنات يخـالفن أمـري!! ويسـودن وجهي بين الرجال!!، أتفهمين ذلك جيدًا!!

فقـــالت لـــه روايـــة بلســـان المؤمنـــة الصادقة: أبتاه: والله مـا كنت لأعصـي ربي إرضاء لمخلوق كائنًا من كان!! والرسـول

يقول: «**لا طاعة لمخلـوق في معصـية الخالق**». فقال لها أبوها، والغضب يتطـاير من عينيـــه: «راوية» إنـــني أحـــذرك من عواقب عصـيانك ومخالفتـك لأمـري!!، وإذا لم تفعلي مـا آمـرك بــه، فسـتندمين نـدمًا شديدًا، والله لأنسينك شـيئًا اسـمه «الـتزام وحلال وحرام»!!

فقالت له راوية: أبتاه: مع احترامي لــك، لن أدخل غدًا على أولاد عمي وأولاد خـالي، ولن أسـلم على أحـــد منهم!! وليكن مـــا يكـون، ومـا أحلى العـذاب في ذات اللــه!! وما أجمل الابتلاء من أجل الله!!

وهنـا هجم عليهـا أبوهـا بعنـف كـالوحش المفترس، فمزق ثيابها، وتناول خشبة كانت بجواره، وانهـال عليهـا ضـربًا وركلاً وصـفعًا، حتى فقدت وعيها وأُغمي عليها، ونقلت إلى المستشـفى، حيث تــبين بعــد فحصــها، أن لديها كسـرًا في ضـلعين من أضـلاع القفص الصــدري، وبعــد أيــام عــادت «راوية» إلى بيتها، وبقيت طريحة الفـراش، ريثمـا يلـتئم الكسر الذي أصابها!!

ومع كل هذه الآلام، لم تسـلم راويـة من أذى أبيها!!، فكـان يقـف على رأسـها، وهي طريحة الفراش، ثم يقـول لهـا وهي تعـاني آلام المـرض: هـاه!! هـل عقلت؟!!، هـل ذهب الجنـون من رأسـك!! أكيـد أنـك لن تخالفي أمري بعد الآن!!

فكـانت «راوية» تُجيبـه بصـوت واهنٍ ضـعيفٍ: أبتـاه: سـأطيعك في غـير معصـية الله!!

بعد أيام تمـاثلت راويـة للشـفاء، وبـدأت تتحرك بسهولة، وتستعيد حيويتها، ففـوجئت بأبيها يدخل عليهـا الغرفـة وهـو يقـول لهـا: عندي لك مفاجأة سارة!!، وسأحضـرها لـك الآن!!

ظنت راوية أن أباهـا قـد شـعر بجريمتـه التي ارتكبها معها، وأحس ببشـاعة خطيئتـه التي اقترفها في حقها، فأراد أن يعتذر لهـا، ويطيب خاطرها بهدية مناسبة!!

ولم يقطـع على راويـة تلـك الخـواطر والأحلام الجميلة، إلا مشهد أبيها، وهو يدخل عليهـا الغرفـة حـاملاً بين يديـه سلسـلتين

كبيرتين، ثم قال وهو يقهقه ضاحكًا:

هذه هي المفاجأة التي وعدتك بها!!

عرفت راويـة مقصـود والـدها، ففوضـت أمرها إلى الله تعالى، وقالت لـه: افعـل مـا تشاء!!

اقترب منها أبوها، ثم قادهـا بعنـف، على إحــدى دورات الميــاه الــتي في الــبيت، ثم ربـط يـديها وكبلهمـا بإحـدى السلسـلتين!!، وأمـا السلسـلة الأخـرى فقـد سلسـل بهـا قدميها!!، وزيادة في تعـذيب «راوية» فقـد ربـط طـرف السلسـلة بحديـدة في داخـل دورة الميــاه!! حــتى لا تتمكن راويـــة من الحركة داخل المنزل؛ بـل تبقى في مكانهـا عاجزة كالمشلولة!!

استسـلمت راويـة لقـدر اللـه، وخضـعت لابتلائه سبحانه، وكان أبوهـا يمـر عليهـا من فترة لأخرى، ليرى هل (تـابتْ!!) راويـة من هـذا التشـدد والغلـو في الـدين؟!! وعـادت إلى وعيهـا ورشـدها!!، أم أنهـا لا تـزال في (ضلالها القديم) فكان يـرى لسـانها لا يفـتر عن ذكر الله تعالى، ويراهـا تـزداد كـل يـوم

إصرارًا على موقفها، وثباتًا عليه.

ظلت راوية على هذا الحال المرير لمدة أسبوع كامل، وهي محبوسة بالسلاسل عند باب دورة المياه، لا تستطيع حراكًا ولا ذهابًا إلا إلى الحمام فقط، وكان أبوها يقـف عنـد رأسها، وهي محبوسة بالسلاسـل عنـد بـاب دورة المياه، ويقول لها: هاه!! هــل عقلت؟ أنا ما عندي بنات تخالف أوامري؟

فكــانت لا تــرد عليــه إلا بقولــه تعــالى: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَحَـقُّ أَنْ يُرْضُـوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾** [التوبة: 62].

فكان الأب يزداد غيظًا وحنقًا على راوية، ويـــزداد تعجبًــا من هــذا الإصــرار العجيب والثبـات النـادر على المبـدأ، رغم المعانـاة والابتلاء.

في ذات يوم، يقدر الله تعالى أن يــذهب الأب إلى مخبز مجـاور لـبيتهم لشـراء بعض الخبز، وبينما هو خارج من المخـبز، إذ تعـثر بقشـــرة مـــوز ملقـــاة على درج المخـــبز، فتدحرج من أعلى درج المخبز إلى أســفله، وتم نقله على الفور إلى المستشفى، وتبين

أن لديــه كســرًا في ضــلعين من أضــلاع القفص الصدري، هما نفس الضلعين اللذين كسرهما لابنتـه «راوية» حين ضـربها ظلمًـا وعدوانًا!!

عاد الأب إلى بيتـه محمـولاً، ووضـع على سـريره!!، وكـان أول شـيء طلبـه، هـو أن يــرى ابنتــه راويــة، المحبوســة في قيودهــا وسلاسـلها!!، ففكـوا القيـود عنهـا، ودخلت عليــه في غرفتــه، فطلب منهــا أن تقـترب منــه، فـاقتربت منــه، فضـمها إلى صـدره، وأخــذ يقبلهـا بعنـف ويقـول: سـامحيني يـا ابنتي!!، لقد ظلمتك كثيرًا!!، وقد انتقم الله لك مـني!!، فـأرجوك سـامحيني!!، وأعـدك من اليوم، أنني سأكون عونًا لك على طاعة الله!!

فارتمت «راوية» في أحضانه، وألصــقت جسدها بجسده، وهي تقول والدموع تنهمــر من عينيهـا: سـامحك اللــه يـا أبي!!، حقًـا: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا[1].

---

[1](?) نساء رباهن القرآن ص(121-123).

وأخيرًا ...جاء الفرج

كـان في أيـام سـليمان بن عبـد الملـك رجـلٌ يقـال لـه: خزيمـة بن بشـر، من بـني أسد بالرقة، وكان له مروءةٌ ونعمة حســنة، وفضـل وبـر بـالإخوان، فلم يـزل على تلـك الحال حـتى احتـاج إلى إخوانـه الـذين كـان يتفضل عليهم، فواسوه حينًا ثم ملوه، فلمـا لاح تغيرهم أتى امرأته – وكانت ابنة عمه – فقــال لهــا: يــا ابنــة عمي، قــد رأيت من إخواني تغيرًا، وقد عزمت على لـزوم بيـتي إلى أن يـأتيني المـوت، ثم إنـه أغلـق بابـه، وأقـام يتقـوت بمـا عنـده حـتى نفـد، وبقي حــائرًا في حالــه، وكــان عكرمــة الفيــاض الربعي واليًـا على الجزيـرة، فبينمـا هـو في مجلسـه وعنـده جماعـة من أهـل البلـد، إذ جـرى ذكـر خزيمـة بن بشـر في مجلسـه، فقال عكرمـة: مـا حالـه؟ فقـالوا: صـار من سوء الحال إلى أمر لا يوصف، فـأغلق بابـه ولزم بيته. فقال الفياض: فمـا وجـد خزيمـة بن بشــــر مواســـيًا ولا مكافئًا؟ قـــالوا: لا. فأمسك، ثم لما كان الليـل عمـد إلى أربعـة

آلاف دينار، فجعلها في كيس واحد، ثم أمــر بإسراج دابته، وخرج سرًا من أهلـه، فـركب ومعه غلامٌ من غلمانه يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، ثم أخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه، وتقدم فدفعه بنفسه، فخـرج إليـه خزيمـة، فناولـه الكيس وقـال: أصــلح بهــذا شــأنك. فتناولــه، فــرآه ثقيلاً، فوضعه، ثم أمسك بلجام الدابـة، وقـال لـه: من أنت جُعِلْتُ فـداك؟ فقـال: يـا هـذا؛ مـا جئتك في هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفني. قال خزيمة: فما أقبله أو تعرفــني من أنت. قال: أنا جـابر عـثرات الكـرام. قـال: زدني. قــال: لا مزيــد. ثم مضــى، ودخــل خزيمــة بالكيس إلى امرأته فقال لها: أبشري، فقــد أتى الله بالفرج والخير، ولو كان هذا فلوسًا فهو كثير، قومي فأسرجي. قالت: لا ســبيل إلى السراج، فبـات يلمسـها فيجـد خشـونة الدنانير ولا يصدق، فرجع عكرمة إلى منزله فوجــد امرأتــه قــد افتقدتــه وســألت عنــه، فأُخبرت بركوبـه منفـردًا، فارتـابت فشـقت جيبهـا ولطمت خـدها، فلمـا رآهـا على تلـك الحـال قـال لهـا: مـا دهـاك؟ قـالت: يـا ابن

عمي، غدرت. قال: ومـا ذاك؟ قـالت: أمـيرُ الجزية يخـرج بعـد هـدوء من الليـل منفـردًا عن غلمانه، في سر من أهله إلا إلى زوجــة أو سرية؟ قال: لقد علم الله ما خرجت إلى واحدة منهما. قالت: فخبرني فيم خــرجت؟ قال: يا هذه، لم أخرج في هذا الوقت، وأنــا أريــد أن يعلم بي أحــدٌ. قــالت: لا بــد أن تخبرني بالقصـة. قـال: فاكتميـه إذًا. قـالت: أفعـل. فأخبرهـا بالقصـة على وجههـا، ومـا كان من قوله لـه ورده عليـه، ثم قـال لهـا: أتحبين أن أحلف لك؟ قالت: لا، فـإن قلـبي قد سكن إلى ما ذكرت. فلما أصـبح خزيمـة صالح الغرماء، وأصلح حالـه، ثم تجهـز يريـد سـليمان بن عبـد الملـك بفلسـطين، فلمـا وقف ببابه دخل الحـاجب فـأخبره بمكانـه – وكان مشهور المـروءة، وكـان سـليمان بـه عارفًا – فأذن لـه، فلمـا دخـل عليـه وسـلم بالخلافة. قال: يـا خزيمـة، مـا أبطـاك عنـا؟ قـال: سـوء الحـال. قـال: فمـا منعـك من النهضــة إليهــا؟ قــال: ضــعفي. قــال: فبم نهضت؟ قال: لم أعلم بعد هـدوء من الليـل إلا ورجــل طــرق بــابي، فكــان منــه كيت

وكيت، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرهـا، فقال له: هل تعرفه؟ قال: ما عرفته يا أمير المؤمـنين، وذلـك أنــه كـان متنكـرًا، ومـا سـمعت منـه إلا: «جـابر عـثرات الكـرام». فتلهـف سـليمان على معرفتـه وقـال: لـو عرفناه لأعنـاه على مروءتـه، ثم قـال: عليَّ بقنـاةٍ. فعقـد لخزيمـة الولايـة على الجزيـة الـتي على عمـل عكرمـة الفيـاض، فخـرج خزيمة طالبًا الجزيرة، فلما وصل إليها خرج عكرمة وأهل بلده للقائـه، فسـلم عليـه، ثم سـارا جميعًـا إلى أن دخلا جميعًـا، فـنزل خزيمة دار الإمارة، وأمـر أن يؤخـذ عكرمـة بكفيل وأن يحاسب، فحوسب فَوُجِدَت عليه فضول كثيرة، فطالبه بأدائهـا، قـال: مـا لي إلى شيء منها سبيل. قال: لا بد منها. قال: ما هي عندي، فاصنع ما أنت صانع. فأمر به إلى الحبس، ثم بعث إليـه يطالبـه، فأرسـل إليه: لست ممن يصون ماله بعرضه، فاصنع ما شئت. فـأمر بـه فكبـل بالحديـد، وضـيق عليه، وأقام كـذلك شـهرًا أو أكـثر، فأضـناه ذلـك وأضــر بــه، وبلــغ ابنــة عمــه ضــره، فجزعت واغتمت لذلك، ثم دعت مولاة لهـا

ذات عقل. فقالت: امض السـاعة إلى بـاب هذا الأمير خزيمة بن بشر، فإذا دخلت عليه فسليه أن يخليك، فإذا فعل فقـولي لـه: مـا كان هذا جزاء «جابر عثرات الكـرام» منـك أن كافأته بالحبس والضيق والحديد، ففعلت ذلــك، فلمــا ســمع خزيمــة قولهــا قــال: واسوءتاه، وإنه لهو؟ قـالت: نعم. فـأمر من وقتــه بدابتــه فأُســرجت، وبعث إلى وجــوه أهــل البلــد فجمعهم، وأتى بهم إلى الحبس ففُتح، ودخـــل خزيمـــة ومن معـــه، فلقي عكرمة في قاعة الحبس متغيرًا، قـد أضـناه الضر، فلما نظـر إليـه عكرمـة وإلى النـاس أحشمه ذلك، فنكس رأسـه إليـه وقـال: مـا أعقب هذا منك؟ قال: كـريم فعالـك وسـوء مكافأتي. قال: يغفر اللـه لنـا ولـك، ثم أمـر بالحـداد ففـك القيـد عنـه وأمـر خزيمـة أن يوضع في رجله نفسه، فقال عكرمـة: تريـد ماذا؟ قال: أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك؟ فقـال: أقسـم عليـك باللـه ألا تفعـل. فخرجا جميعًا إلى أن وصلا إلى دار خزيمـة، فودعه عكرمة وأراد الانصـراف، فقـال لـه: ما أنت ببارحٍ، قال: فماذا تريد؟ قـال: أغـير

من حالـك مـا رث، وحيـائي من ابنـة عمـك أشـــد من حيــائي منــك، ثم أمــر بالحمــام فأخلي، فدخلا جميعًا، ثم قام خزيمة فتـولى خدمته بنفسه، ثم خرجا، فخلع عليه وجمله، وحمـل إليـه مـالاً كثـيرًا، ثم سـار معـه إلى داره، واسـتأذن في الاعتـذار من ابنـة عمـه فأذن له، فاعتذر إليهـا وتـذمم من ذلـك، ثم سـأله بعـد ذلـك أن يسـير معـه إلى أمـير المؤمــنين سـليمان بن عبــد الملــك، وهــو يومئذ مقيم بالرملة، فأنعم له بذلك، فسـارا جميعًـا حـتى قـدما على سـليمان بن عبـد الملــك، فــدخل الحــاجب فأعلمــه بقــدوم خزيمة بن بشـر، فراعـه ذلـك، وقـال: والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا، ما هذا إلا لحــادث عظيم، فلمـا دخـل عليـه قـال لـه قبـل أن يُسلم: ما وراؤك يـا خزيمـة؟ قـال: خـير يـا أمـير المؤمـنين. قـال: فمـا الـذي أقـدمك؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكـرام فـأحببت أن أســرك، لمـــا رأيت من تلهفـــك عليـــه وتشوقك إلى رؤيته. قـال: ومن هـو؟ قـال: عكرمة الفياض، فأذن لـه بالـدخول، فـدخل وسلم عليه بالخلافة، فرحب بـه وأدنـاه من

مجلسه. فقال له: يا عكرمة، ما كان خـيرك لخزيمـة إلا وبـالاً عليـك، ثم قـال لـه: اكتب حوائجك كلها وما تختاره في رقعة. قال: أو تعفيني يـا أمـير المؤمـنين؟ قـال: لا بـد من ذلك. ثم دعا بدواة وقرطاس وقال: اعــتزل واكتب جميـع حوائجـك، ففعـل ذلـك، فـأمر بقضائها جميعًا من ساعته، وأمر له بعشــرة آلاف دينار، وبسـفطين ثيابًـا. ثم دعـا بقنـاة وعقد له على الجزيرة وأرمينيـا وأذربيجـان، وقال له: أمر خزيمة إليك، إن شئت أبقيتـه، وإن شئت عزلته. قال: بل أرده إلى عملــه، ثم انصـــرفا جميعًـــا، ولم يـــزالا عـــاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته[1].

---

[1] (?) المسـتجاد من فعلات الأجـواد ص(18-22)، لأبي القاسم التنوخي.
نقلاً عن: صلاح الأمة في علو الهمة (2/596-600).

عون الله لأحبابه

قال أبو العبـاس البكـري، من ولـد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير – الطبري – ومحمد بن إســحاق بن خزيمــة، ومحمــد بن نصــر المــروزي، ومحمــد بن هــارون الرويــاني بمصــر، فــأرملوا[1]، ولم يبــق عنــدهم مــا يقوتهم[2]، وأضر بهم الجـوع فـاجتمعوا ليلـة في مـنزل كـانوا يـأوون إليـه، فـاتفق رأيهم على أن يستهموا[3]، ويضربوا القرعـة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام.

فخرجت القرعة على محمـد بن إسـحاق بن خزيمـة فقـال لأصـحابه: أمهلـوني حـتى أتوضأ وأصلي صـلاة الخـيرة[4]، فانـدفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وخصيٌ من قبـل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فـنزل عن دابته.

فقال: أيكم محمد بن نصر؟

---

[1] (?) أرملوا: نفد زادهم.
[2] (?) يقوتهم: يمسك أبدانهم من شدة الجوع.
[3] (?) يستهموا: تفسيرها ما بعدها: يضربوا القرعة.
[4] (?) صلاة الخيرة: صلاة الاستخارة.

فقيــل: هــو هــذا، فــأخرج صــرة فيهــا خمسون دينارًا، فدفعها إليه.

ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟

فقــالوا: هــو هــذا، فــأخرج صــرة فيهــا خمسون دينارًا، فدفعها إليه.

ثم قـــال: أيكم محمـــد بن إســـحاق بن خزيمة؟

فقـالوا: هـو هـذا يصـلي، فلمـا فـرغ من صـلاته دفـع إليـه الصـرة وفيهـا خمسـون دينارًا.

ثم قال: أيكم محمـد بن هـارون؟ وفعـل به كذلك.

ثم قال: إن الأمير كان قـائلاً[1] بـالأمس، فرأى في المنـام خيـالاً قـال: إن المحامد[2] طـووا كشـحهم[3] جياعًـا، فأنفـذ إليكم هـذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلي أحدكم[4].

---

[1] (?) قائلاً: نائمًا وقت القيلولة، وهو منتصف النهار.

[2] (?) المحامد: جمع محمد، وهم الرجال الأربعة.

[3] (?) الكشــح: ما بين الخاصــرة في الضــلع الخلــف، والمراد هنا: أنهم جياع يسترون جوعهم لا يُعرفون به.

[4] (?) من «طبقـــات الشـــافعية الكـــبرى» للســـبكي (

ربي قادرٌ على رد بصري

ومن الذين سجل لنا التاريخ كرامتهم بمداد من نور السيدة زنيرة الرومية, وكانت من السابقات إلى الإسلام وقد عذبها المشركون عذابًا شديدًا فكانوا يحملون لها مكاوي الحديد ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى ذهب بصرها رضي الله عنها ومما جاء في ذكرها:

كانت مولاة بني مخزوم فكان أبو جهل يعذبها فلما أسلمت عميت فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت: وما يدري اللات والعُزى من يعبدهما إنما هذا من السماء وربي قادرٌ على رد بصري فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها.

تأملي أختاه ثبات تلك المؤمنة المسلمة على إيمانها وتحملها العذاب الشديد الذي لا يطيقه كثيرٌ من الرجال فما بالك بالنساء؟

(2/251). نقلاً عن المختار من فرائد النقول والأخبار (68-1/66).

ولكن الإيمان الذي يغزو القلـوب هـو الـذي ثبتها به الله عز وجل وأكرمهـا وأعلا فضـلها فلمـا وثقت في رحمتـه ونُصـرته؛ رد عليهـا بصرها كي ينصـرها على المشـركين الـذين يعبدون أسماء لا تضر ولا تنفع، ولكنها تعبــد رب السماء, وتعلم أن كل قضاء ينزل عليها فإنه من رب السماء ولا يكون إلا خيرًا وهـو قــادر على أن ينصــرها عليهم. وكــان مــا أرادت، فـرد اللـه عليهـا بصـرها كرامـة لهـا رضي الله عنها. فأين نحن يا أختاه من هـذا الإيمان وتلك الثقة في كـل أمورنـا؟ وأيضًـا الرضا في كل قضاء يقضيه الله لقـد قـالت السـيدة زنـــيرة: «وربي قــــادر على رد بصــري» فتــأملي قولهــا ربي أي خــالقي وسيدي ومدبر أمـري ومن يرزقـني السـمع والبصر ومن يرزقني النصر عليكم، فهل لنا من فهم لتلك المعاني وأن نعيش في معيـة الله دومًا نستعين به على أعـدائنا وفي كـل أمورنا لكي نكون من أولياء اللـه الصـالحين قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُـوا وَكَــانُوا يَتَّقُــونَ * لَهُمُ الْبُشْــرَى فِي**

الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِي الْآَخِـرَةِ لَا تَبْـدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ [يونس: 62-64][1].

[1] (?) نساء لها تاريخ ص(41، 42).

الواثق وخلق القرآن

كان القاضي أحمد بن أبي دؤاد من رؤوس المعتزلة، وكان معظمًا عند المأمون يقبل شفاعته ويصغي إلى كلامه. وهو الذي دس للمأمون القول بخلق القرآن وحسنه عنده، وصيره يعتقده حقًا مبينًا إلى أن أجمع رأيه على الدعاء له وامتحان العلماء فيه.

ثم سار المعتصم فالواثق سيرة المأمون في هذه الفتنة. ويروى أن الخليفة الواثق أتي إليه بشيخ مقيد يقول بقدم القرآن ليمتحنه. فلما أدخل قال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقال الواثق: لا سلم الله عليك.

قال الشيخ: يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك به مؤدبك. قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: 86]، والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها.

فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين،

هذا رجل متكلم.

قال الواثق: كلمه.

فقـال: يـا شـيخ، مـا تقـول في القـرآن: مخلوق هو أو غير مخلوق؟

قال الشيخ: أنا أسألك قبل.

فقال له: سل.

قال الشيخ: ما تقول في القرآن؟

فقال: مخلوق.

قال الشيخ: هذا شيء علمه رسول اللـه وأبو بكر وعمـر وعثمـان وعلي، أم شـيء لم يعلموه؟

قال ابن أبي دؤاد: شيء لم يعلموه.

فقـال: سـبحان اللـه! شـيء لم يعلمـه النـبي ولا أبـو بكـر ولا عمـر ولا عثمـان ولا علي، علمته أنت؟!

فخجل ابن أبي دؤاد وقال: أقلني.

قال: والمسألة بحالها؟

قال: نعم.

قال: ما تقول في القرآن؟

قال: مخلوق.

قال: هذا شـيء علمـه النـبي والخلفـاء الراشدون أم لم يعلموه؟

قال: علموه.

قال: هل دعوا الناس إليـه كمـا دعـوتهم أنت أو سكتوا؟

قال: بل سكتوا.

قال الشيخ: فهلا وسعك مـا وسـعهم من السكوت؟

فقــام الواثــق ودخــل مجلس الخلــوة واسـتلقى على قفـاه ووضـع إحـدى رجليـه على الأخــرى وهــو يقــول: هــذا شــيء لم يعلمه النبي ولا الخلفاء الراشـدون علمتـه أنت؟ سبحان الله. هذا شيء علمه النــبي والخلفاء الراشدون ولم يـدعوا النـاس إليـه أفلا وسعك ما وسعهم؟!

ثم دعــا الحــاجب وأمــره أن يرفــع عن الشيخ قيوده ويعطيه أربعمائة دينار.

وســــقط من عينــــه ابن أبي دؤاد، ولم

يمتحن بعد ذلك أحدًا[1]

[1] (?) طرائف الخلفاء والملوك ص(250، 251).

الله يجيرني منك

يجب على الإنسان أن يوقن بأنه لا يبقى على حال واحدة إلا الله العظيم الـذي يُغَيِّر ولا يتغـير، والـذي بيـده ملكـوت السـموات والأرض لا تأخذه سنة ولا نـوم، وممـا يـذكر أن محمد بن يزيد أمره عمر بن عبد العزيز – رحمه الله وأسكنه جنته- أن يخــرج قومًـا من السجن فقام بإخراجهم إلا واحــدًا منهم اســمه يزيــد بن أبي مســلم وكــان كاتبًــا للحَجَّاج على ظلمه ومعينًا لـه على بطشـه، ومـا كـان يـرحم أحـدًا ولا يرتـدع أو يـنزجر بحادثة تحدث بل يلهو مع اللاهين ويلعب مع اللاعبين، ولا يراقب رب العالمين.

فلمـا رأى يزيـد بن أبي مسـلم السـجناء يخرجون إلا هو أضمر الحقـد في قلبـه على محمد بن يزيد ونذر الانتقام منـه وتمـنى أن يتمكن منه ليشفي غليله، فلما تـوفي عمــر بن عبد العزيز – رحمـه اللـه – وتـولى يزيـد بن عبد الملك عزل بعض أمراء عمر، وكان ممن عــزل محمــد بن يزيــد وهــو على أفريقيـة، وولى مكانـه يزيـد بن أبي مسـلم

يقــول محمــد بن يزيــد: فهــربت منــه واستخفيت في كـل مكـان ولكنـه يلاحقـني حتى علم بمكاني، فطلبني وأرسـل الرسـل إليَّ حتى ظفروا بي ووجدوني، فأحضـروني مقيـدًا لـه فلمـا دخلت عليـه قـال: لطالمـا سـألت اللـه أن يمكنـني منـك، فقلت: وأنـا والله لطالما سـألت اللـه – عـز وجـل – أن يعيذني ويجيرني منـك، قـال: مـا أعـاذك ولا أجارك مني والله لأقتلنك ولو سابقني ملـك الموت إلى قبض روحك لسبقته.

ثم دعا بالسيف والنطع فأتى بهمـا وأمـر بي فأقمت في النطـع وكتفت وشـد رأسـي وقـام ورائي رجـل بسـيف مصـلت يريـد أن يضـرب عنقي، وبينمـا هـو كـذلك إذا أقيمت الصلاة، فعلمت أن هـذا فـرج من اللـه؛ لأن الصــلاة أمن للخــائفين، وقــوة للضــعفاء والمساكين، وأن الله تعالى سيشـغله عـني وإلا فنـار الغضـب تغلي في قلبـه، والحقـد يتفجر من شرايينه، فلما سمع الإقامة قال: أمهلـوه واتركـوه حـتى أصـلي، وخـرج إلى الصــلاة ليصــلي مــع النــاس، فلمــا خــرج وأقيمت الصلاة صلى، ولما سجد سلط الله

عليه من يقتلـه إذ أخذتـه السـيوف من كـل مكان وكنت أقول: اللهم أجرني منـه، اللهم إني أعوذ بك من شره، وكـان يسـتهزئ بي ويقـول: لم يعـذك مـني ولم يجـرك مـني، وإني لك لبالمرصاد، وإنني على ثقة أن الله لن يضـيعني وإن انتهى أجلي فلن أسـتأخر ساعة ولن أستقدم.

فلمـا ضـربوه بالسـيوف قتـل وهـو في صـلاته ودخـل عليَّ من حـل كتـافي وفـك قيـــدي وأطلـــق وثـــاقي وخلى ســـبيلي، فانصـرفت سـالمًا. وإن كـان هـذا الظـالم يصـــلي إلا أن أذيـــة النـــاس لا تجـــوز؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكـر، فكيـف يصلي وهو يعذب عباد اللـه وينكـل بهم بـل ويسومهم سوء العذاب، ويكون ملك الموت قد سبق إلى هذا الظالم قبل أن يسبق إلى المظلـوم واللـه خـير حافظًـا وهـو أرحم الراحمين[1].

[1](?) اتق دعوة المظلوم ص(127، 128).

مجاهدة في قعر بيتها

تزوجته على مضض، فهو ابن عمها لكنه بعيـد عنهـا بُعْـدَ الأرض عن السـماء. فهي متدينة ملتزمة، وهـو متفلت لا يقيم للصـلاة وزنًا ولا يعرف لحلاوة العبـادة معـنى، همـه اللهـو والسـهر مـع الأصـحاب والرفـاق. لم تستطع أن ترفضه لأن الأعراف البالية تمنع ذلك. فوضت أمرها إلى اللـه وعـزمت على إصــلاح فســاده، وتــذكرت قولــه ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم**».

كانت تلقى معارضة شديدة في كل مرة تصـلي فيهـا مـدعيًا أن هـذا يجعلـه يجلس وحيــدًا، فعرضــت عليــه أن يصــلي بهــا ليجلسان معًا. قاوم عدة مـرات، ثم رضـخ، وصلى بها، وتكرر ذلك بين الفينة والأخـرى. وكـان يعـود من سـهرته ومـا زالت عروسًـا في شهرها الأول فتسرع إلى تلبيـة طلباتـه دون تأفف أو تذمر، وهي تعلم حقوق الزوج وطاعته «إلا في معصـية الله» ولا تعنفـه أو تؤنبه، وقد انتصـف الليـل منـذ سـاعات. ثم

بدأت تحرص على أن تضع أشرطة إسلامية عند قرب عودته تتحـدث عن فضـل الصـلاة وأثر العبـادة والطاعـة، فصـار يصـلي بعض الأوقات معهـا، فتلح عليـه أن يجعـل صـلاته في المسجد لفضل صلاة الجماعــة وأثرهـا. ولم تنس أن تضع بين يديه كتبًا دينيــة، كـان يسارقها النظر وتمتد يده إليها أحيانًا أخــرى يقلبهــا ويعيــدها إلى مكانهــا، وهي تراقبــه وتدعو الله أن يعينها.

شــيئًا فشــيئًا أصــبح من رواد المســاجد للجماعــة والجمـع وعَلَّمت النقطـة الدائمـة في الحجـــر حين بـــدأ يقلـــل من ســـاعات ســهره، ثم من أيــام ســهره حــتى صــار لا يسهر إلا بين الفينة والأخرى لبضع ساعات، يحاول جاهدًا أن يؤثر على زملائه وأصــحابه فيهتدون كما هـداه اللـه، وبـدأ شـيئًا فشـيئًا يقرب المسافة بينه وبين زوجتــه، فاســتقام سلوكه وأقبـل على الطاعـة بعبـادة بعـد أن كانت له عـادة، ومنَّ اللـه عليـه بـأولاد أخـذ على عاتقه مسؤولية تربيتهم حتى لا يكونوا مثله فهـو لا يـذكر أن أبـاه أمـره بعبـادة، أو طاعـة إلا مـرات قليلـة يتبعهـا بقولـه: ﴿**وَلَا**

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام: 164]. متناسيًا قوله تعالى: **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** [التحريم: 6].

وتعجب الناس وتساءلوا عن تغير حاله وتبدل أحواله من الفساد إلى الرشاد، ومن العصيان إلى الطاعة فكان يقول: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وينصحهم باختيار زوجاتهم على أساس الخلق والدين، وعندما خطب لأولاده كان أول شروطه: «اظفر بذات الدين تربت يداك». ونفذ أولاده ما أراد فسعدوا وأسعدوا[1].

[1] (?) قطار الزواج والطلاق ص(72-74).

الفهرس